خَيْبَة الحُبّ

أشخاص المسرحية

أراسْت : حبيب لوسيل.
ألْبير : والد لوسيل.
كرو رينيه : خادم أراسْت.
فالير : ابن بوليدور.
لوسيل : إبنة ألْبير.
مارينات : مرافقة لوسيل.
بوليدور : والد فالير.
فروسين : صديقة أسْكاني.
أسكاني : إبنة ألبير الأخرى، متنكّرة بزي رَجُل.
مسْكاريل : خادم فالير.
ميتافْراسْت : أُستاذ مُتفلْسِف.
لا رابِيار : مقاتل.

الفصل الأول
المشهد الأول

أراسْت وكرو رينيه

أراسْت : هل تريد أن أقول لك إن محنتي الخفيّة لا تترك في نفسي أي أثر مزعج. ومهما تسنّى لك أن تنسب اليّ أني في حبّي مخدوع، بما اني لم أتعوّد الكذب، لا يسعني إلّا أن أجيبك بأنك مخطئ في هذا الاستنتاج.

كرو رينيه : لا تظنّ اني أنوي التلاعب بالكلام ذات يوم، فأصرّح لك، يا صاح، بأن تصوّرك في غير محله، وأنك لم تنجح في ترجيحك أن الأمر يجرح شعوري. فإنّ مظهري لا يُفصح عما اكتمه في صدري، مع اني لست من الخبثاء المنافقين. وليس من طبعي ان اكذّب من يتهمني زوراً بأني مغرور. وإلّا وقعت في حيرة من امري. لأن لوسيل في نظري، تُبدي من الحب اكثر مما تكنّه. وهي من نوع المرأة التي تداعبك وتلاطفك وتثير مخاوفك. بينما الشاب فالير على كل حال، مهما روّعك، يظهر عليه حالياً أنه يتألّم مُرغَماً.

أراسْت : كم من العشّاق يتقبّلون الخداع. لأن من يلاقي الاستحسان ليس دائماً الشخص الأحَب إلى القلب. وجلّ ما يبدر من بعض النساء ليس إلّا ستاراً لإخفاء ما يعزّ عليهن فضحه من عواطفهن. وهذا حال فالير الذي لاقى من الصدّ ما خيّب آماله وهو غير مطمئنّ كما يتظاهر. فإنه أحياناً يصطنع السرور أو قلّة الاكتراث، ويغيظني بمظهره المسالم الى حد يجعلني أتساءل عن حقيقة

شعوره. إذ يشكّ بما أتمتع به من سعادة، ويعقّد تفكيري، ويبعث في نفسي عدم الثقة بهوى لوسنيل. لذا أبحث عن نصيب مريح وإن أيقظ في صدري بعض الغيرة، وداخلني بسببه شيء من النفور وقلة الصبر. فهل يمكنك أنت أن تعيد الى نفسي ما أفتقده من الاطمئنان والارتياح، في حال تيقّني من سعي مزاحمٍ عزيز عليّ، ينازعني من إصطفاها فؤادي ؟ وان كنت لا تصدّقني ؟ أرجوك أن تُبيّن لي اني أحلم بمغامرة وهمية.

كرو رينيه : ربما كان قلب من تهواها يميل الى سواك، وهي تتنهّد من جرّاء فقدان التجاوب في هذا المضمار.

أراسْت : عندما يعاني المرء من الصدّ يحاول الهرب مما يؤلمه، وإن كان لا يتخلى بسهولة عن ضيمه، لأن ذكر المحبوب لا يدعنا نداوي جراحنا بعدم المبالاة. .ما دام عذاب الحب يذكي نار الهيام، ويضاعف الغيرة والشك. فما اصعب الظنّ بأن قلب المعشوق مشغول بغير من يتدلّه بهواه.

كرو رينيه : انا لا أطمَئنّ الى هذه الفلسفة الخرقاء، ولا أرْكن إلّا الى ما أراه بعيني، ولا يسعني وأنا عدوّ نفسي، إلّا أن أُلوم ذاتي، وأن أبحث عن أسباب شقائي. فان شكوكي، ان لم تكن راجحة الكفّة، تُضرِم في صدري ناراً تلتهم افراحي وتورثني حزناً مزمِناً. فالأجدر بي أن لا أترك الأوهام تسيطر على نفسي كي لا أزيد عذابي في دنيا الغرام. أسابق الريح الى الاماني الصعبة المنال، واخشى أن أقع في خاتمة المطاف على الخيبة المرّة التي تبدّد أحلامي وتبليني بطيفٍ متهرّبٍ ألْتمس منه مصارحتي بحبّه وإضاءة دربي في دياجير الهيام ولو ببصيص من نور الحبّ الذي يهدي الى السعادة والهناء. فإذا كان مسْكاريل ينتف شعر رأسه حزناً وقلقاً أو لا، وإن كانت الحلوة مارينات تتحمّل على مضض مطارحات غرام « جوذْلي » وقبلاته ومداعباته، فإن هذا الخصم يضحك ساخراً كالمجانين. وانا نظيره ألْجأ الى السُكْر لأنسى همومي بانتظار أن أرى من منّا يضحك منشرحاً في خاتمة المطاف.

أراسْت : ما هذا الحديث المحيِّر ؟

كرو رينيه : ها هي مارينات قادمة.

المشهد الثاني

مارينات، وأراسْت، وكرو رينيه.

كرو رينيه : يا مارينات.
مارينات : ماذا تفعل هنا ؟
كرو رينيه : كنا الآن نتكلّم عنك.
مارينات : أخيراً وجدتك في هذا المكان، يا سيدي. فمنذ ساعة وانا أجري وراءك، وكدت ترهق رجليّ من التعب.
أراسْت : لماذا ؟
مارينات : بحثتُ عنك، ومشَيْت عشرة آلاف خطوة، لكنك ...
أراسْت : ما قصدك ؟
مارينات : لم تكن لا في المعبد، ولا في باحة البيت، ولا في الساحة العامة.
كرو رينيه : يحقّ لك ان تشتميه.
أراسْت : أعلميني، بالله عليكِ ماذا دعاك الى البحث عني ؟
مارينات : كلّفتْني بذلك سيدتي التي تستظرفها وتستخّف ظلّها.
أراسْت : حديثك، يا عزيزتي مارينات، يعبّر لي دوماً عن مشاعرها. فلا تُخفي عني ما تضمره لي من النوايا، وأنا لن أُلومك على ذلك. أرجوك أن تُصْدِقيني ان كانت عواطفها الخدّاعة تبالغ في ما تتمنّاه لي ظاهراً من الخير.
مارينات : لا، لا. من زرع في صدرك هذه الظنون ؟ سيدتي بعيدة عن كل هذه الشكوك. ماذا يطلب حبّك من برهان أصدق مما بدر منها ولمستَه انت لمس اليد، وما هو أَملك منها في الحقيقة ؟
كرو رينيه : ان لا يَشْنُق فالير نفسه لأجلها. فالأمر لا يستحقّ كل هذا الظنّ والتساؤل الذي لا مبرّر له.
مارينات : ماذا تقول ؟
كرو رينيه : وهل هو غيور الى هذا الحدّ ؟
مارينات : مَنْ، فالير ؟ هذه فكرة طريفة لا يمكنها أن تُولَد إلّا في دماغك.

كنت أعتقد أنك أذكى مما تبيّن لي حتى الساعة. لاني كنت أعتبر مداركك أوسع مما لمسته الآن. وأراني مخطئة في تقدير بعد نظرك القصير المدى. فماذا دهاك، يا ترى ؟

كرو رينيه : أتظنّين اني غارق انا ايضاً في بحر الغيرة ؟ وقاني الله شرّ هذه الآفة الهدّامة. لا بدّ أنكِ تمزحين حتى تتهميني بها. كوني على ثقة اني بعيد عنها بعد السماء عن الأرض. فأنا أعرف ذاتي جيداً، ولا أرى مكاناً في صدري ليحتله مخلوق آخر غيرك. وأنّى لي ان ألاقي حسناء نظيرك ؟

مارينات : في الواقع قولك في محله. ولا يمكنك أن تتصرّف إلّا على هذا النحو من الأمانة. فإخلاصك لا يدع مجالاً للشكّ، كما ان لا سبيل الى أي مزاحم ان يحلّ محلّك. ومهما كان مبعث حزنك، لن يدعك تحيد عن مسلكك تجاه حبيبتك، وان حام حولها أكبر عدد من المزاحمين. فذلك يعتبر في لغة الحبّ تجنّباً لا داعي له، يجلب الشقاء ويلوّث السمعة. فكن مطمئنّاً من هذا القبيل، يا سيدي أراسْت، ولا تسمح للوساوس ان تشغل بالك.

أراسْت : اذاً إنسي ما دار بيننا الآن من كلام. وأفصحي عمّا جئتِ في الحقيقة تبلغيني اياه.

مارينات : يؤسفني إن جعلتك تنتظر، وإن تباطأت أو أخفيت عنك ما يهمّك. فالسرّ في بحثي الطويل عنك فحْواه بوجيز العبارة : أُطردْ عنك الشكّ، واقرأ ما في هذه الورقة بصوت عال، اذ ليس هنا من يسمعنا.

أراسْت (**يقرأ**) : « قلتَ لي ان حبّك قادر على إجتراح العجائب. وأتمنى اليوم أن يتكلّل بالنجاح، هذا اذا حظي برضى والدي. اذاً، عجّلْ حالاً، يا مالك فؤادي، وكلّمه، وأنا أُصادق فوراً على القرار المتّخَذ، طبعاً إن كان في صالحك. أوكّد لك موافقتي المطلقة. فما أعظم سعادتي إن أتتْني على يدك. لتكون حقاً كإله يعبده ويمجّده قلبي المحب المخلص ».

كرو رينيه : أنبأتُك بذلك ولم تصدّقيني. أنا لا أُخطئ في توقّعاتي ابداً.

أراسْت (**يعيد القراءة**) : **« اذاً، عجّلْ حالاً يا مالك فؤادي، وكلّمه، وأنا أُصادق فوراً على القرار المتَّخذ، طبعاً إن كان في صالحك ».**

مارينات : اذا أبلغتها برود عزيمتك، ستُنكر مثل هذه الكتابة.

أراسْت : بربّك، أُكْتُمي عنها هذا الخوف العابر الذي رأت نفسي من خلاله بعض النور والامل. واذا أعلمتها به، أضيفي عليه اني مستعدّ ان اموت للتعويض عن هذه الاساءة، وأني سأجثو عند قدميها واستسمحها إذا أزعجتُها، وسأبذل حياتي لأرفع عني غضبها، وأنال رضاها.

مارينات : دعنا من موضوع الموت، لأنه ليس في حينه.

أراسْت : على كل حال، انا مدين لك بالكثير، وأقدّر مسعاك حقّ قدره في تدبير الأمور، لأنك حقاً واسطة خير نبيلة وجميلة.

مارينات : بالمناسبة، هل تعرف اين بحثتُ عنك أيضاً منذ هنيهة ؟

أراسْت : لست ادري.

مارينات : بقرب السوق، في المكان المعهود.

أراسْت : اين بالضبط ؟

مارينات : هناك في الدكان حيث وعدتني، الشهر الفائت، ان تشتري لي خاتماً كهدية.

أراسْت : أذكر ذلك جيداً.

كرو رينيه : يا لكِ من داهية.

أراسْت : حقاً تأخرت قليلاً في وفاء وعدي هذا لكِ. لكن ...

مارينات : لا تظنّ أني استعجلك بهذا التذكير.

كرو رينيه : معاذ الله.

أراسْت : لا بدّ لهذه القطعة من أن تنال إعجابك. فأرجوك أن تقبليها منّي عربون مودّة.

مارينات : هل تسخر مني، يا سيدي ؟ أنا أستحي أن آخذها منك.

كرو رينيه : ما اشدّ خجلك، يا محتالة. خذيها بدون إمهال. لأن رفض الهدايا دليل سذاجة وبلاهة.

مارينات : إنْ قبلتُها، فعلى سبيل حفظها كتذكار منك.

أراسْت : متى يمكنني أن أزور سيدتك، ملاكي المعبود ؟

مارينات : حين تحمل والدها على القبول بك صهراً.

أراسْت : واذا رفض طلبي، هل عليّ أن ...

مارينات : لكل حادث حديث. في سبيلك، لن أعدم وسيلةً، ولن آلُوَ جهداً. فبطريقة أو بأخرى، لا بدّ من أن تكون عروس احلامك من نصيبك. إفعل اذاً ما تراه مناسباً، وانا أُكمل الباقي.

أراسْت : الى اللقاء. اودّ ان أعلم بالنجاح، هذا اليوم بالذات.

مارينات : ونحن ماذا جدّ في حبّنا ؟ أجدك لا تذكر حرفاً في هذا الموضوع.

كرو رينيه : انا اتوق الى تحقيق زواجنا قريباً، لأنه أغلى أمنية تراود أحلامي. من جهتي أودّ الاقتران بك، فهل تريدينني انتِ أن أكون زوجاً لك ؟

مارينات : بكل طيبة خاطر.

كرو رينيه : ضعي اذاً يدك في يدي، وهذا الآن يكفيني.

مارينات : الى اللقاء، يا كرو رينيه، يا أغلى الرجال عندي.

كرو رينيه : الى اللقاء القريب، يا روحي.

مارينات : الى اللقاء العاجل، يا مهجة كبدي.

كرو رينيه : الى اللقاء اذاً، يا عزيزتي ومالكة فؤادي. اشكر الله الذي هداني اليك. وألْتمس منه أن يوفّق مسعانا. لا تنسَيْ أنّ ألْبير لا يرفض لك طلباً.

أراسْت : ها هوذا فالير قادم الينا.

كرو رينيه : انا أندب حظي المسكين. لأني اعرف ماذا يجري في الخفاء.

المشهد الثالث

اراسْت، وفالير، وكرو رينيه

أراسْت : ما وراءك، يا سيدي فالير ؟

فالير : ماذا تريد ان تعرف، يا سيدي أَراسْت ؟

أراسْت : ان اطّلع على احوال حبّك.

فالير : وانت كيف حال اشواقك ؟

أراسْت : تتضاعف وتزداد يوماً عن يوم.

فالير : وانا ايضاً يزداد هيامي حرارة.
أراسْت : الى لوسيل ؟
فالير : نعم، الى لوسيل.
أراسْت : لذا أشهدُ بأنك نموذج نادر للمثابرة.
فالير : وأنت صاحب عزم لا يفلّه الحديد، ومثال نادر للعشّاق الأوفياء.
أراسْت : بالنسبة اليّ، لم أعتدْ بعد، هذا الحب الصارم الذي يكتفي فقط بنظرات تسعده. بينما أنا لا تملأ العواطف عينيّ لأن المعاملة الفاترة تضايقني. وحين أُحبّ من كل قلبي، أودّ أن أكون بالمقابل معشوقاً للغاية والنهاية.
فالير : هذا أمر طبيعي، وانا نظيرك. فإنّ ما يعجبني ويسرّني هو شدة التعلّق بي. وإلّا فليس ما يروي ظمأ قلبي.
أراسْت : مع ذلك، لوسيل ...
فالير : لوسيل، بالنسبة اليّ، عواطفها لا تُطفئ لهيب غرامي.
أراسْت : انت اذاً سهل الإسترضاء.
فالير : لست تماماً كما تظن.
أراسْت : على كل حال، أعتقد بدون تبجّح، أني أحتل شغاف فؤادها.
فالير : أنا واثق بأني أشغل حيّزاً كبيراً في قلبها.
أراسْت : انت تبالغ قليلاً. صدّقني.
فالير : بل صدّقْني انت. ولا تخدعْ نفسك بأنك في مثل هذه المنزلة.
أراسْت : اذا تجرأت وقدّمت لك برهاناً دامغاً على ان فؤادها ... لا، ستحزن نفسك من جرّاء ذلك.
فالير : واذا تجاسرت انا، وكشفت لك سرّاً ... ربما أسأتُ اليك، فعددتَ ذلك مني تطفّلاً.
أراسْت : حقاً انت تدفعني الى ما لا أرتضيه لِذاتي. ويخيّل اليّ ان افتراضك يزعجني. فإقرأ إذاً.
فالير (**بعد أن يقرأ**) : هذه كلمات رقيقة.
أراسْت : انت تعرف الخطّ.
فالير : نعم، هذه كتابة لوسيل.

أراسْت : هناك إذاً أمل كبير ...
فالير (**يضحك**) : الى اللقاء، يا سيدي أراسْت.
كرو رينيه : هذا الرجل كريم شهم، لكنه مهووس. كيف يعتبر أن الأمر مضحك.
أراسْت : طبعاً، أعجبتْه المفاجأة، وأنا أجهل، بيني وبينك، أيّ عفريت يتخبّأ خلف هذه القصة.
كرو رينيه : ها هو خادمه قادم الى هنا.
أراسْت : أجل أراه يقترب منّا. فلنتظاهر بأننا نتكلّم عن غرام سيده.

المشهد الرابع

مسكاريل، واراسْت، وكرو رينيه

مسْكاريل : لا، لا أجد وضعاً أتعس من أن يكون للمرء سيّد شاب غائص في بحر الغرام.
كرو رينيه : نهارك سعيد.
مسْكاريل : نهارك أسعد.
كرو رينيه : الى أين أنت ذاهب في مثل هذه الساعة، يا مسكاريل ؟ ماذا تفعل الآن ؟ هل أنت عائد أم ذاهب ؟ أم أنك باقٍ ها هنا ؟
مسْكاريل : كلّا، أنا لست عائداً لأني لم أذهبْ الى أي مكان. ولست ذاهباً لأني واقف. ولست باقٍ لأن خطواتي تدلّ على أني ذاهب.
أراسْت : إستعجالك ظاهر للعيان، فتمهّل قليلاً، يا مسكاريل.
مسْكاريل : انا في خدمتك، يا سيدي.
أراسْت : اراك تتهرّب متسرّعاً. هل أفزعتك ؟
مسْكاريل : كلّا، ليس الإرهاب من عادتك.
أراسْت : ضع يدك اذاً في يدي. فلا داعي الى تزاحمنا، ولا سبيل للغيرة ان

تفرّق بيننا. علينا أن نظلّ أصدقاء مخلصين. فالحماس الذي كان يدفعني، قد أخلى مكانه لنواياك الغامضة.

مسْكاريل : ما شاء الله.

أراسْت : كرو رينيه يعرف من أقصد.

كرو رينيه : بدون شك، وأنا أتخلّى لك عن مارينات.

مسْكاريل : لنصرف النظر عن ذكرها. لأن منافستنا لم تصل بعد الى نقطة عدم الرجوع. ولكن هل حقاً تنازلت، يا صاحب السيادة، عن حبك الجامح، أم الأمر مجرّد مزاح ؟

أراسْت : لقد لاحظت أن حبّ سيدك في أحسن أحواله. وأكون مهووساً إن ادّعيتُ أن حسناءه تحيطني بالرعاية ذاتها التي تخصّه بها.

مسْكاريل : أنت تُطمئنني بهذا النبأ السارّ. إذ كنتُ أتحسّب لمهارتك في تدبير الأمور. وحسناً فعلتَ بانسحابك من لعبة لن تكون فيها الرابح الأكبر. وبنوع خاصّ، لأني مطّلع على خفايا القضية. وكنتُ أرثي لحالك لأني أعلم علم اليقين أن المظاهر تخدعك. ولكني مع ذلك أتساءل كيف تسنى لك أن تكتشف الحيلة. إذ لم يطّلع على تفاصيلها ليلاً سوى شخصَيْن، وأنا الثالث. والجميع لا يزالون يعتقدون ان القصة تسير سيراً مُرْضياً.

أراسْت : بالله، عليك ماذا تقول ؟

مسْكاريل : أعني اني مذهول، وأنا أتساءل، يا سيدي، من ذا الذي اخبرك بأن الجميع يعتقدون الى الآن أن المظاهر تناقض الواقع الى حدّ انك أنت أيضاً لا تظنّ أن زواجاً سرّياً قد جمع بين العاشقَيْن.

أراسْت : لا استبعد ان يكون ذلك نبأ مختلفاً.

مسْكاريل : اودّ، يا سيدي، أن يكون حقيقة أكيدة.

أراسْت : وإلّا كنت أنت أحقر المنافقين.

مسْكاريل : بدون شكّ.

أراسْت : حقاً، تستحق جسارتك مئة جلْدة في الساحة العامّة.

مسْكاريل : هل أنت صاحب السلطة ؟

أراسْت : آه من كرو رينيه.

كرو رينيه : سيدي.

أراسْت : من جهتي أنا أكـذّب هذا الخبر الـذي لا أخشى انتشاره (لمسكاريل) : لا تفكّر بالهرب.

مسْكاريل : مطلقاً.

أراسْت : ماذا تقول ؟ هل تصدّق أن لوسيل تزوّجت ؟

مسْكاريل : كلّا، يا سيدي، أنا أمزح.

أراسْت : انت تمزح ؟ يا لك من دجّال بارع.

مسْكاريل : كلا، أنا لا أمزح ابداً.

أراسْت : اذاً، هذا صحيح.

مسْكاريل : كلّا، كلّا. أنا لم أُثْبت ذلك.

أراسْت : ماذا قلت اذاً ؟

مسْكاريل : لم أصرّح بحرف واحد، لئلّا يُحمل كلامي على غير حقيقته.

أراسْت : بيّن لي إنْ كان النبأ حقيقياً أو مختلفاً.

مسْكاريل : إعتبرْه كما يحلو لك، كأني لَست هنا. فأنا لا أنفيه ولا أؤكّده.

أراسْت : ماذا تعني عبارتك هذه ؟ إليك، بدون مساومة، ما يحلّ عقدة لسانك.

مسْكاريل : لا بدّ لها أن تعلن هي بعض التصريحات. وأرجوك بالأحرى ان توجّه اليّ ما تشاء من الإنتقادات إن كنتُ أستحقّها. ثم دعني أنسحب من هذا المشكل كالشعرة من العجين.

أراسْت : موتاً ستموت، إن لم تعترف بالحقيقة، يا مسكين.

مسْكاريل : سأعترف طبعاً. غير أني أخشى إزعاجك، يا سيدي.

أراسْت : تكلّمْ؛ وحذار من المغالطة. لأنك لن تنجو من العقاب إن ثبت لي نفاقك. فلا تحاولْ ان تكذب، ولا تَلُمْ إلّا نفسك.

مسْكاريل : انا موافق. حطّمْ لي رأسي وعذّبْني. أُقتُلْني إن شئتَ، اذا فُهْتُ بغير الحقيقة.

أراسْت : هل تمّ هذا الزواج ؟

مسْكاريل : لساني في هذا الموضوع قد أخبر بما رأته عيناي. أجل، تمّ الأمر،

كما تقول انت. فبعد خمسة أيام حافلة بالزيارات الليلية، عُقِدَت صفقة يوم أمس الأول، لتثبيت الاتفاق، ولم يبدر من لوسيل اي دليل على الحب الجارف الذي تكنّه لسيّدي. وهي تصرّ على أن تفضي الوقائع الى تلبية نداء قلبك الولهان. عليك أن تحيط هذا الحدث بأقصى الحذر والكتمان، كي لا ينتشر النبأ بسرعة. فإذا ما زلت تشكّ بأقوالي، فإن كرو رينيه يمكنه أن يرافقني ذات ليلة لأُريه، بصفتي الحارس اليقظ، كيف نستطيع كلانا أن نكتشف الحقيقة بكل سهولة.

أراسْت : أُغرُبْ عن وجهي، أيها المحتال.

مسْكاريل : وانا بمنتهى السرور لا أطلب اكثر من ذلك.

أراسْت : اذاً.

كرو رينيه : اذاً يا سيدي، سنعرف معاً ان القصة حقيقية.

أراسْت : هذا متعب ومزعج. لأني أرى ظاهراً أن كلامه مموّه، وأنّ ما نطق به فالير حين شاهدْنا هذه الكتابة، لدليل كاف على مساهمته في العمل المبطّن. بخديعة ماكرة تخدم بدون شك هدف الخبيث المخاتل الذي سيدفع ثمنها غاليا.

المشهد الخامس

مارينات وكرو رينيه، واراسْت

مارينات : جئت لأنبّهك الى ان سيدتي عندما يأتي المساء بعد برهة، ستنزل الى الحديقة ويُتاح لك عندئذ أن تشاهدها.

أراسْت : هل تجسرين على خداعي أيتها المنافقة الدجّالة ؟ هيّا اخرجي من هنا واذهبي وقولي لسيدتك إنها استنادا الى ما كتبتْ، لن تكون مرتاحة البال أبدا. وسأعرف كيف أوقفها عند حدّها.

مارينات : قلْ لي بربّك، يا كرو رينيه، ماذا يدعوك الى اتخاذ هذا الموقف السلبي المناوئ ؟

كرو رينيه : هل تجرُئين أيتها الأفعى السامّة والتمساح الغدّار ذات القلب الأسود على المثول أمامي ؟ إذهبي وأجيبي سيدتك أننا رغم لين ملمسها ونعومة كلامها، نحن لسنا حمقى، لا سيدي ولا أنا، لنصدّق أقوالها. فالأحرى بها أن تغور في أعماق الجحيم.

مارينات : ما أغباني أنا المسكينة التي سعيت جاهدة لتأدية خدمة جليلة، واذا بي أقع في مشكل يُذهل كل من له به صلة من جماعتي.

الفصل الثاني
المشهد الأول

أسكاني، وفروسين

فروسين : أَحْمُدُ الله، يا أسكاني، على أني فتاة كتومة أمينة لا أبوح بالاسرار.
أسكاني : هل نحن هنا في أمان لنخوض مثل هذا الحديث ؟ علينا أن نحذر من أن يُفاجئنا خصم، وأن يسترق السمع من زاوية خفية.
فروسين : سنكون في مأمن إن ذهبنا الى المنزل. لأننا ها هنا عرضة لتنصّت كل متطفّل أو عابر. وهناك يسعنا أن نتكلّم بحرية تامة بدون أي حذر.
أسكاني : اني ألاقي صعوبة في التخلّي عن تكتّمي، اذ لديّ سرّ جديد عويص يضيق به صدري.
فروسين : لا بدّ من أن يكون خطيراً.
أسكاني : نعم هو خطير جداً. لذا أودّ أن أُطلعكِ عليه مرغمةً. ولو كان باستطاعتي أن أحفظه في صدري مدّة أطول، لما بحتُ لكِ به مطلقاً.
فروسين : يؤسفني أن لا تكون ثقتك كبيرة بي، انا التي طالما عالجت قضاياك بتكتّم لا مثيل له. وها أنتِ تقولين لي انك تريدين أن تطليعيني مرغمةً على سرّ آخر لا يسعك أن تكتميه اكثر ممّا فعلتِ، نظراً الى أهميّته، فهيّا اذاً ...
أسكاني : انتِ تعرفين سرّ تكتّمي الذي يضطرّني الى إخفاء أُنوثتي واسمي الحقيقي منذ حداثتي. لقد تشبّثتُ بهذا الكتمان للاحتفاظ بالارث الذي آل

اليّ على أثر وفاة أسكاني الصغير ابن ابي من صديقته إنْياس. لأن استبداله بي أعاد وجوده الى عالم الأحياء. لذا تشبّثتُ بسرّي الذي أخذ اليوم يثقل على صدري. وأنا أشعر بحاجة ماسّة الى إفشائه لك. لكن، قبل دخولي في تفاصيله، أرجوك يا فروسين، أن تُزيلي الشكّ من رأسي وتصارحيني، هل درى والدي ألْبير بما أكتمه من موضوع اخفاء انوثتي والامتناع عن إعلاني أني ابنته.

فروسين : هذه النقطة في الحقيقة تُرهق تفكيري أنا أيضاً. لأنها لا تزال غامضة بالنسبة اليّ. اذ لم تتمكّن والدتي من توضيحها لي. وبعد موت الطفل أسكاني الذي اورثه عمّه الغني ثروة طائلة، كتمتْ والدته وكذلك والدي سرّ وفاته للاحتفاظ بالإرث الوافر. وهكذا تحوّل اسم الطفل المتوفي اليك، بدون علم والدك بهذا التزوير. وقامت بتربيتك أمّي التي كانت راضية عن هذا الخداع، وسترت الأمر الواقع نظراً للفائدة التي جنتها هي أيضاً من هذا السرّ كهدايا قيّمة. وهكذا أعتقد أنّ والدك ألْبير ظل يجهل الحقيقة التي ثابرت أنا ايضاً زمناً طويلاً على إخفائها في طيات صدري اكراماً لك. مؤخّراً بلغني أنه استشفّ بعض الحقيقة، لكنه لم يحاول الكشف عنها حرصاً على الاحتفاظ بالارث. والأنكى انه يريد الآن أن يحملك على الزواج، ربما عن تجاهل أو عن خبث، رغم تنكّرك بملابس رَجُل. وهذا موضوع دقيق لا سبيل الى استجلائه على عجل. لنعُد الآن الى السرّ الجديد الذي تودّين ان تطليعيني عليه.

أسكاني : إعلمي ان الحب لا يعرف التلاعب والمحاباة، وأن أنوثتي لا سبيل الى إخفاء معالمها تماماً على الدوام. ولا بدّ لثيابي من أن تفضح يوماً ما نحاول إخفاءه مهما كان جسمي نحيلاً كفتاة. أخيراً لا أكتم عنك أني عاشقة.

فروسين : أنتِ عاشقة ؟

أسكاني : مهلاً، يا فروسين، لا تدهشي هكذا لوضعي العجيب. ربما لم يَحُنِ الأوان لإسماع تنهّدات قلبي المغرم. فما أودّ أن أطلعك عليه سيفاجئك اكثر ويُذهلك.

فروسين : ما الأمر إذاً ؟

أسكاني : أنا أحب فالير.

فروسين : لا غرابة في ذلك. فإن موضوع حبّك ضئيل جداً بالنسبة الى قضية الميراث الواسع، التي يعقّدها الكشف عن حقيقتك. لأن أنوثتك ستخلق البلبلة من جرّاء ما سيجدّ من خلاف على هذا الصعيد. اذ سيتبدّل صاحب الحقّ ويجعل الوجوم يسيطر على ذوي الشأن.

أسكاني : وما يضايقني اكثر هو أني أصبحت زوجته.

فروسين : زوجة فالير ؟ يا إلهي ؟ ماذا أسمع ؟

أسكاني : نعم، نعم، زوجته شرعياً.

فروسين : هذا يتعدّى معلوماتي الإجمالية. لذا لم أعدْ أعرف ما أقول.

أسكاني : هذا ليس كل ما في الأمر.

فروسين : هل هناك ما هو أدهى ؟

أسكاني : أجل، لأن فالير لا يدري بالسرّ الأوّل الذي أخفيه، ولا يعرف من واقع مولدي أي تفصيل.

فروسين : لقد طاش صوابي. وأكاد لا أصدّق ما تعلنين. ولا يسعني أن أرى حلّاً لكل هذه التعقيدات، ولا مخرجاً من هذا المأزق الحرج للغاية.

أسكاني : سأشرح لك الموضوع بدون أن أتوسع فيه. كان فالير هائماً بحب شقيقتي لوسيل. وتبيّن لي انه عاشق لا يُشقّ له غبار. فلم أتمكّن من رفض مغازلته، مع أني كنت أودّ ان يثابر على حبّ أختي التي لم تكن تلتفت اليه كثيراً. واضطررت الى مسايرته، ولا غاية لي في البدء إلّا إقناعه بوجوب تحقيق رغبته في الإقتران بها. لكن رويداً رويداً نما الهوى في صدرَيْنا، يا فروسين، فتضعضعتْ إرادتي أمام إلْحاحه ليلاً على مبادلته عواطفه، بينما كنت أحاول من جهتي أن أُداوي جراح فؤاده المكلوم بسبب صدود شقيقتي. ومنذ فترة ، في احدى الليالي المعتمة، إعتقد أنه يقابل كالعادة اختي لوسيل، وظنّ أنها أُخذت تميل اليه فراح يناجيني ويغازلني بدون أن ينتبه الى تنكّري الرجالي الذي كنت أحاول إخفاءه عن الجميع. وتمادينا في تشاكي الهوى، وتناسيتُ وضعي المنتحَل، ومِن حلْو الكلام والقُبَل إنتشيْنا وانتقلنا الى العمل. فتابعتُ الخداع والتمثيل بمهارة وجسارة، حتى اضطرّتنا نتيجة الأمر الواقع الى الإقتران

سرّاً، وهو لا يزال يظنّني أختي لوسيل لستر قصتنا المريبة.

فروسين : تبّاً لكِ. لأنكِ رغم مواهبكِ الغزيرة، عالجت الفضيحة بلفلفة معقّدة. ومع أنك جئت تسترشديني بعد فوات الأوان، أتمنّى أن يتكلّل مسعاكِ بالنجاح. لكن تصرّفك لن يكون سليم العاقبة، متى علم به ذووك بدون تمهيد حكيم يُهيّئ نفوسهم لتقبّله باستحسان.

أسكاني : عندما يكون الحب متيناً، ليس من عقبة تعرقل مساره. ولا شكّ في انتهاء أمره لصالح المحبّين، فيبلغوا شاطئ الأمان. ها قد كشفت لك سرّي الجديد، آملةً بالحصول على نصحك ومساندتك ... لكن، ها هو فالير زوجي المكتوم قد أقبل.

المشهد الثاني

فالير، وأسكاني، وفروسين

فالير : أراكما غارقتَيْن في الحديث. وبما أني لا أريد أن أقاطعكما، فالأجدر بي أن أنسحب.

أسكاني : لا، لا. يمكنك أن تبقى وتشترك في الحديث، بما أنك فيما بيننا.

فالير : انا ؟

أسكاني : نعم، أنت.

فالير : وما هو الموضوع ؟

أسكاني : كنت أقول : لو كان فالير فتاةً لنال إعجابي، ومال قلبي اليه. وإن خُيِّرتُ في انتقاء شريك حياتي، لما تأخّرت في تفضيله على سواه من الشبان لتكتمل سعادتي.

فالير : هذه افتراضات لا جدوى منها، ومعالجة موجباتها تقتضي أوّلاً أن تكون واقعاً ملموساً. ولا داعي للحيرة إلّا اذا أضحى مضمونها حقيقةً واقعيّة ملموسة، خاضعةً لمثل هذا الحلّ المرغوب.

أسكاني : لا، أبداً. قلت لك أني منذ أن تعرّفت الى شخصك المحبوب، وددت لو باستطاعتي تلبية نداء فؤادي المشغوف.

فالير : هذا لو كنتَ أُنثى. ولكن كيف يتسنّى لكَ أنت الفتى أن تكون هدف ولعي وسبب سعادتي وهنائي ؟

أسكاني : يستحيل عليّ في وضعي الحاضر أن أُلَبِّي رغبات قلبك العطوف.

فالير : تصريحكَ اذاً، كما ترى، غير عمليّ على الاطلاق.

أسكاني : أوَلا تفضّل، يا فالير، لو كنتُ أنا فتاة، أن يميل قلبي اليك، وأن أهبكَ حبّي، وأطاوع عواطفك، وإن كنتَ قد وجّهتَ نجواك الى حبيبةٍ سواي. ان مثل هذا الإنحراف لن يرضاه ابداً فؤادي إن تدلّه بهواك.

فالير : لكن هذا غير ممكن أن يصدر عنكَ إلّا في الخيال.

أسكاني : ما أقوله لك هو مجرّد تصريحٍ، لو كنت صبيّةً، وما عليك إلّا ان تقبله او ترفضه.

فالير : لا سبيل لكَ اذاً، يا أسكاني، أن تطمح الى هواي، إلّا اذا شاءت الظروف ان تجترح معجزة بتبديل شخصيتك، وما لم تنقلب الى حسناء، فالسلام على عواطفكَ، إذْ ليس من واقعكَ الحاضر ما يُغري أو يلبي مأربي.

أسكاني : سريرتي هي أَلْطف ممّا يسعك أن تتصوّر، وشكّك في إخلاص مشاعري يجرح إحساسي، فيما اذا تدلّهتُ بهواك. على كل حال، أنا صادق، وأُعاهد نفسي على الوفاء إن حظيتُ برضاك، يا فالير. إلا اذا أكّدتَ لي ان قلبك لن يميل إليّ، وأن حرارة لهفتك ستظل من نصيب غيري، إن كنتُ فتاة. مهما كان الحال، ثقْ بأني سأحفظ لك في أعماق كياني تمام الشعور الذي أَلِفتَه مني حتى الآن.

فالير : لم أجدْ مثل إخلاصكَ لدى إنسان سواكَ. ولكن مهما كان تصرّفكَ هذا جديداً عليّ، فأنا أعترف بأني مستعدّ لمقابلته بالمودّة التي يستحقّها منّي.

أسكاني : طبعاً بدون اي تنميق.

فالير : أجل بدون تنميق ولا تذويق.

أسكاني : ان كنتَ حقاً صادقاً، أعدك بأن أبادلك المشاعر ذاتها.

فالير : اذاً لا بدّ لي من أن أكشفَ لكَ سرّاً خطيراً يجعل مفعول هذه الكلمات ضرورة لا غنى عنها بالنسبة اليّ.
أسكاني : وأنا لديّ ايضاً سرّ أودّ أن أُفاتحك به، ولن يسع قلبك الميّال اليّ ان يكشفه بمفرده.
فالير : وما هو هذا السرّ الغامض، يا ترى ؟
أسكاني : هو أن بين ضلوعي خافقاً لا أجسر على البوح بمكنوناته، وأنكَ أنتَ وحدك قادر على إسعاده وإدخاله الجنّة، إن ارتضيته ولبّيت نداءه.
فالير : أوضحْ هذا التلميح المُبْهَم، يا أسكاني، وثِقْ سلفاً بأنك تنال أُمنيتك إن كان فعلاً بمقدوري أن أنفّذ طلبك.
أسكاني : وعدك هذا يفوق إمكاناتك، يا عزيزي فالير.
فالير : كلا، كلا. بيّن رغبتك، وسأكون عند حسن ظنّكَ.
أسكاني : لم يَحُنِ الأوان بعد. لكن الأمر الذي أعنيه يهمّك أنت بالدرجة الأُولى.
فالير : حديثكَ يُدهشني ويُحيّرني. أسأل الله أن تكون ...
أسكاني : قلت لك، لم تدقّ الساعة بعد لأكشف قضيّتي، كما صرّحت لك.
فالير : ولماذا ؟
أسكاني : لاسباب عدّة. وستعرف سرّي عندما أطّلع أنا أوّلاً على سرّك.
فالير : أحتاج للإقدام على البوح به الى اعتراف شخص آخر.
أسكاني : انا مضطر الى استخدام هذه الوسيلة، وحين نبوح كلانا بسرّنا سنرى من منّا سَيَفي بوعده وتعهّده.
فالير : الى اللقاء. لقد سرّني هذا التصريح.
أسكاني : وانا كذلك أبهجني، يا فالير.
فروسين : هو يظن أنه وجد فيكَ عوناً على حلّ مشكلته.

المشهد الثالث

فروسين، وأسكاني، ومارينات، ولوسيل

لوسيل : قُضي الأمر. وهكذا استطيع ان انتقم لكرامتي. واذا كان هذا يؤذيه، فإن قلبي لا يطلب اكثر من ذلك. إسمع، يا أخي، قصّة هذا التحوّل العجيب الغريب. انا أودّ تكريم فالير بعد هذه الصداقة الطويلة بيننا، وأخصّه بأطيب تمنّياتي.

أسكاني : ماذا تقولين، يا أختي ؟ منذ متى أصبحتما تتبادلان مثل هذه العواطف والمجاملات. بشكل غير متوازن ؟

لوسيل : إنّ تبدُّل موقفك هذا يفاجئني. في الماضي كان فالير موضوع تحبيذك، مع أنك كنت تتهمه بغرابة الاطوار والغباء والسماجة والكبرياء والتقلّب. وعندما ملتُ أنا اليه أخذتَ تلومني على ذلك، وتُبدي إنزعاجك من مباذله ودنائته.

أسكاني : لقد حمّسته للتقرّب اليك كي أوطّد ميلك اليه. وأنا اعرف انحداره الى مستوى غير لائق، وأن علاقتك به تستدعي الحذر ولن تسلم من العطب، لا سيما اذا نويتِ استهوائه مجدداً، ولم يستجبْ هو نداء قلبك.

لوسيل : لو توقّفت المشكلة عند هذا الحدّ لهان أمرها. لأن فؤاده الآن، على ما أرجّح، أضحى أسير هوى سواي. على كل حال، بلّغْه اني لا أقوى على كتمان عواطفي عنه. واذا رفضتَ القيام بهذه المهمّة، فإن لساني سيبوح له بأن حبّه مَلَكَ فؤادي. لماذا، يا أخي، وجمتَ لهذه الكلمات ؟

أسكاني : إنْ كان لي عليكِ، يا اختي، بعض الدالّة، وإن كنتِ حقاً تُحبّين شقيقكِ، كُفّي عن هذا التفكير غير المجدي، وانتزعي فالير من قلبك لأن فتاةً عزيزة عليّ ويحقّ لها ان تناشدك في هذا الموضوع، قد هامت بحبه. ولقد باحت لي بمكنونات صدرها، فرأيت من واجبي أن أحثّك على ضبط شعورك نحوه. ولا يسعكِ إلّا ان ترقّي لحالها عندما تطّلعين على مدى توغّلها في هواه. وأنا على يقين، يا أختي، بأنها ستموت حزناً وكمداً اذا اختطفت منها

حبيبها الذي أصبح غاية وجودها وقبلة أمانيها. ّمّا أراسْت فهو شاب كريم طيّب العنصر، أهل لنيل إعجابك، وأعتقد أنه يميل اليك ...

لوسيل : انتَ تحيّرني، يا أخي. إذْ لم أعد أدري مَن يهمّك امره. فأرجوك ان تختم هذا الحديث وتتركني أسترسل قليلاً في أحلامي.

أسكاني : ما أغرب تصرّفكِ، يا أختي. أنتِ تخيّبين أملي بإصراركِ وتشبثكِ بهذه الميول العقيمة.

المشهد الرابع

مارينات، ولوسيل

مارينات : إتّخاذ القرار النهائي، يا سيدتي، أمسى وشيكاً.

لوسيل : الهموم تعصر قلبي حين أفكّر بما ألْحَقَه بي من الخيبة التي تدفعني الى الانتقام واغتنام جميع الفرص المتاحة لإرواء غليلي. تبّاً له من خائن يَنْقُضُ العهود، ولا يتورّع عن ارتكاب مثل هذه الخساسة الرهيبة.

مارينات : انا كدت أفقد أعصابي، ورحت أتمتم ما لا يسعني ان اصرّح به جهراً، لمجرّد علمي بمغامرته الدنيئة التي افقدتني رشدي. فبإبلاغي أخباره السارة التي كان يكتبها اليّ بإسهاب كان يقدّسني كإلهة، بينما تصريحاته الحالية تغيظ أية فتاة مهما كانت بليدة. وأنا لا أعرف سبباً لهذا التغيُّر الفجائي، وأجهل تماماً كل ما جرى في هذه الأثناء، وما أحْدث هذا الانقلاب غير المرتقب.

لوسيل : ليس هناك من جديد يُسبّب إزعاجه. ولم يبدر منّي ما يستحقّ حقده عليّ. هل تبحثين عن سبب غير لؤمه وانحطاطه ؟ وخلافاً لذلك، ماذا حدا به الى هذا التصرف المهين ؟ إن رسالتي الأخيرة التي أُلوم نفسي على تدبيجها، لا تستوجب كل هذه النقمة علي.

مارينات : انا مقتنعة بأنك على حقّ، وأن هذا الخلاف هو مجرّد دناءة بدرت

منه وأنه هو المحقوق. واذا اصغيت الى من يلومك تبدو لك الآية معكوسةً وانك انت المخطئة. فلا تنقادي الى أهواء أحد، ولا تكوني ضعيفة الإرادة، بل تجنّبي كل حماقة، فتغيظي هكذا خصمك.

لوسيل : مهما ضحك هذا الخائن لن تكون له الغلبة طويا ً. فأنا أعرف كيف احوّل انتصاره الموقّت الى هزيمة مخزية.

مارينات : ولا سيما في مثل هذه الاحوال الغامضة. لن يسر المرء اكثر من ان يعلم ان الظروف الملائمة تساعده. انا مرهفة الحسّ ولن أدع فرصة تفوتني لأضحك بدوري ضحكة الفائز، وأسمع بأذني التهاني بانتصاري عليه في النهاية.

لوسيل : انت تتفوّهين بأقوال مبعثها الهوس، اذْ لم يحن الأوان لإحراز هذا الظفر. على كل حال يبهجني ما يبدر منك للتهوين علي. لأن هذا اللئيم يريد اذلالي. وانا اودّ ان انتقم منه قبل أن يتسنى له تحقيق مأربه. حتى إن قدّم لي حياته للتكفير عن اساءته، لن يحظى مني إلّا بالاحتقار. وإن ركع اليوم عند قدميَّ، لا أريد من الآن وصاعداً أن أسمع ذكره على لسانك. بالعكس، أنا امنعك من التحدّث اليّ عنه، لأن ذنْبه في نظري لا يُغتفر. حتى ان مال اليه فؤادي، لن أتنازل الى مستوى خساسته. وسأكبت عواطفي ولن أرقّ لتوسّلاته. وأطلب منكِ أنتِ ايضاً أن تقابليه بالصدّ والازدراء، وأن تساعديني على اذلاله وتحقيره.

مارينات : لا تخافي، بل إتّكلي علي في مشاكسته لأجلك. لأن غيظي منه لا يقلّ عن غضبك عليه. وأفضّل أن أظل عازبة طوال عمري، لو كنت مكانك، ولن أرثي لحال مثل هذا الرجل البذيء الذي كنت اميل اليه في الماضي، حتى إن جاء ثانية يخطب ودي.

المشهد الخامس

مارينات، ولوسيل، وألْبير

ألبير : أُدخلي، يا لوسيل، واستدعي الاستاذ، لأني أُريد أن أتحدث اليه قليلاً، واستفهم منه عمّن يرشد أسكاني، وهل هو عالم بما يضايقه في هذه الآونة الاخيرة من مصاعب مرهقة. (**تخرج المرأتان ويتابع وحده**) الى أية وهدة قد تدهور إبني، وماذا دهاه حتى بات يتخبّط هكذا في تصرفاته، بعد أن كان قدوة تُحتَذى. ماذا عراه من بلايا حتى أضحى غريب الاطوار على هذا النحو ؟ أخشى أن يلوّث سمعة الاسرة بمباذله. فلقد تمنيت له على الدوام أفضل مستقبل زاهر، وها هو يخيّب أملي، كأنه يمرّ في ازمة نفسية خانقة. حتى راح الجميع يسألونني قائلين : لماذا انتاب الهزال ابنك المرفّه ؟ هل هو مريض ؟ هل أصابته الحمّى، ام كُسر ساقه او ذراعه ؟ وأنا حيال هذه الاستفسارات أقف متلعثم اللسان لا أدري بماذا أُجيب، لأني في الحقيقة أجهل واقع حاله. وكأني في دوّامة دوّختْ رأسي الافكار المحيّرة المؤسفة.

المشهد السادس

ألْبير، وميتافْراسْت

ميتافْراسْت : ماذا تريد مني ؟

ألبير : استدعيتك، يا استاذ ...

ميتافْراسْت : انا في خدمتك.

ألبير : أودّ أن أعلم، يا استاذ، ما هو سبب كآبة ولدي الذي تعرف جيداً كم أحبّه، وكم يسوؤني ان أجده في حالة من الحزن تناقض ما اتمناه له دوماً من الزهو والإنشراح.

ميتافْراسْت : هذا صحيح. ولكن :

ما كل ما يتمنّـى المـرء يدركـه،

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

ألبير : يا استاذ، بصريح العبارة أريد أن أفهم ...

ميتافْراسْت : ماذا تريد ان تفهم ؟

ألبير : ابني يخشى الزواج. ومهما سبرت أغوار قلبه، أجده بعيداً جداً عن هذه الفكرة التي يتهرّب من أخذها بعين الاعتبار والعمل بموجبها.

ميتافْراسْت : ربما كانت أفكاره الغريبة وليدة الامتعاض من سلوك بعض الفتيات حياله.

ألبير : يا إلهي. وهل رأيته يوماً يعاشر إحداهنّ.

ميتافْراسْت : اذاً، ماذا دهى ابنك ؟

ألبير : لستُ أدري ما اذا كان القلق قد سيطر عليه إثْر خيبة أمل صدمته بعنف على دروب الهوى. لقد شاهدته بدون ان يبصرني، يوم أمس يتمشّى في بقعة نائية من الغابة خالية من أي متجوّل.

ميتافْراسْت : في بقعة نائية من الغابة خالية ... لقد أعلن الشاعر فرجيل ...

ألبير : وكيف تسنّى لفرجيل هذا أن يُبصره ؟ وأنا واثق من ان أحداً سوانا نحن الاثنين، أنا وابني، لم يصل الى هذه المنطقة غير الآهلة.

ميتافْراسْت : فرجيل الشاعر، يا سيدي، يُعَدّ من أشهر رجال الثقافة. وهو ارفع بكثير من أن تسأل كيف أمكنه أن يرى بالأمس مَن شاهدته.

ألبير : انا لا أطلب شهادته، بل أصرّح بكل بساطة وبدون حاجة الى إثبات صحّة كلامي، أني رأيته وكفى.

ميتافْراسْت : لا بد من اختيار الألفاظ اللازمة للتعبير عن الأفكار.

ألبير : أرجوك ان تفيدني إن كنت تريد أن تردّ على استفهامي بدون لفٍّ ودوران.

ميتافْراسْت : كنتيليانوس الخطيب المفوّه قد شرح هذه النقطة.

ألبير : تبّاً لهذا الخطيب، ما دخله في موضوعنا ؟

ميتافْراسْت : ألَا يروق لك ان تستمع الى حِكَمه ؟

ألبير : ما أبعدك عن إدراك قصدي، أيها الغبي ؟ وما دخْل اقواله في ما استفسر منك عنه ؟
ميتافْراسْت : ارجوك ... ماذا يدفعك الى الإحتداد هكذا ؟ وماذا تريد ان تستفسر عنه منّي بالضبط ؟
ألبير : اودّ ان تصغي اليّ، وقد كرّرت عليك هذه العبارة عشرين مرة، ولم تجبْني.
ميتافْراسْت : ألاحظ انك تُسَرُّ جداً حين أسكت.
ألبير : هذا أفضل ما تفعله.
ميتافْراسْت : ها أنذا أصمت، وكلّي آذان صاغية لسماعك.
ألبير : الحمد لله، أخيراً.
ميتافْراسْت : لتُزهَق روحي إن أضفتُ كلمةً اخرى.
ألبير : أرجو أن ينجّيك الله من كل مكروه.
ميتافْراسْت : لن أضايقك بثرثرتي بعد الآن.
ألبير : فلْيكن ما تقول.
ميتافْراسْت : تكلّم بما تشاء.
ألبير : هذا ما أفعله.
ميتافْراسْت : ولا تعترضْ على مقاطعتي.
ألبير : هذا مفهوم.
ميتافْراسْت : انا دقيق في حديثي أكثر من أي شخص آخر.
ألبير : أعتقد ذلك.
ميتافْراسْت : وَعَدْتُك بأن لا أزيد حرفاً واحداً.
ألبير : هذا يكفي.
ميتافْراسْت : منذ الآن، تجدني كالأصمّ الأبكم.
ألبير : جميل جداً.
ميتافْراسْت : إطمئنّ إذاً. على الأقل، أنا أصغي اليك. ولن تتذمّر من سكوتي، لأني عازم على أن لا أنبس ببنت شفة.
ألبير : تبّاً له من ثرثار.

ميتافْراسْت : أرجوك أن تتابع حديثك بعجلة. فأنا أنصت اليك منذ فترة طويلة، ومن الضروري أن أتكلم بدوري.

ألبير : يا له من شيطان لعين.

ميتافْراسْت : هل تريد أن أظلّ مصغياً الى الأبد ؟ لا بدّ من اقتسام الحديث بيني وبينك على الأقلّ، أو دَعْني أنصرف.

ألبير : لقد عيل صبري ...

ميتافْراسْت : ماذا قلت ؟ هل تنوي أن تواصل حديثك، يا رجل ؟ أَلَيْس من سبيل الى ايقاف سيل كلامك.

ألبير : أكاد أجنّ.

ميتافْراسْت : يا له من ثرثار أحمق. وما أقسى عذابي هذا. استحلفك بكل عزيز أن تدعني أتكلّم قليلاً. ألَا اعلم ان الاحمق الذي لا ينطق بحرف، لا يميّزه أي نعْت عن العالِم الذي يصمت.

ألبير (**وهو ذاهب**) : الآن، لا بدّ لك من السكوت.

ميتافْراسْت : ما أصعب الحكم المبرم بالصمت على فيلسوف مثلي. « ولا بدّ للمرء من أن يتكلّم كي يعرفه الناس ». وإذا لم أتكلّم، لا يبقى لي من هيبة. فالأجدر بي عندئذ ان أفقد لساني وانسانيّتي، وأن أستبدل حضارتي وثقافتي بوحشيةٍ بهيميّة. ها قد استولى عليّ الصداع لمدة اسبوع، انا الذي أكره كثيري الكلام. ولكن، ماذا أقول حين يصدُر على عالمٍ نظيري حكمٌ بأن لا يصغي إليّ أحد، وأن أغلق فمي على الدوام. فلا بدّ من عكس نظام الكون كما يلي :

الدجاجة تفترس الثعلب المراوغ.
والصبي المغرور يؤْنِس الشيخ المحنّك.
والحمل الوديع يطارد الذئب الجائع.
والمجنون يسنّ قوانين العدل.
والمرأة الواجفة تقاتل المحارب الشجاع.
والمجرم الظالم يحاكم القاضي المنصف.
والطالب البليد يعلّم الاستاذ الخبير.

والمريض المنازع يشفي الطبيب الماهر.
والأرنب الخائف يُطارد ...
الله يكون بعون أمثالي المغبونين.
(يأتي ألبير وبيده جرس يقرعه عند أذن الاستاذ، فيهرب هذا الأخير فزعاً.)

الفصل الثالث
المشهد الأول

مسكاريل

مسْكاريل : كثيراً ما تساعد الظروف بعض النوايا السيئة، فتُحمّل الانسان وقر الشدائد. وهذا ما سيحّل بي اذا لم أتخذ الاحتياطات اللازمة. وفي وضعي الخاص، لا بدّ لي من تنبيه سيدي الى الدسائس التي تُحاك حوله، لا سيما من ناحية إبنه الذي يضايقني سلوكه المشبوه. والشيطان الآخر ينطبق عليه ما قد أعلنتُه بخصوص الحذر من الأفخاخ التي ينصبها على الأقلّ قبل أن يَحْمَى وطيس المعركة. من جهتي أنا لا أخاف أي اذى. لكن الرجلَيْن المتقدّمَيْن في السنّ ربما اتفقا فيما بينهما، الأمر الذي سنحاول إجهاضه في حينه بدون أن نضيع لحظة واحدة من الوقت الثمين وها أنا ذاهب لأقابل غريمي الآخر.

المشهد الثاني

مسكاريل، وألبير.

ألبير : من الطارق ؟

مسْكاريل : صديق.

ألبير : ماذا أتى بك إليّ، يا مسكاريل ؟

مسْكاريل : جئت لأحيّيك، يا سيدي.

ألبير : حقاً أنت رجل لطيف. وأنا من كل قلبي أردّ لك التحيّة.

مسْكاريل : ما أكرم هذا الترحيب الذي قلّ أن لقيته منك.

ألبير : هل عدت الى عادتك القديمة ؟

مسْكاريل : ألم تسمعْني؟ يا سيدي ؟

ألبير : أجل ألقيتَ عليّ السلام.

مسْكاريل : نعم.

ألبير : وانا حيّيتك أيضاً.

مسْكاريل : لكني هذه المرة، أبلغتك كذلك تحية سيدي بوليدور.

ألبير : هذه مسألة أخرى. هل حقاً كلفك سيدك بأن تحيّيني ؟

مسْكاريل : نعم.

ألبير : أُشكرْه اذاً عني، وقُلْ له إني أتمنى له دوام الصحة والإنشراح.

مسْكاريل : انت تعرف ان هذا الرجل لا" يحبّ الرسميّات. وأنا لم أكمل بعد تمنياته لك. فقد طلب منّي ان أرجوك بإلحاح ...

ألبير : أنا مستعد لتأدية كل خدمة يحتاج اليها.

مسْكاريل : أرجوك أن تصغي اليّ حتى أُنهي حديثي بكلمتَيْن : هو يرجوك أن تخصّه بفترة قصيرة ليتحدّث اليك في أمر هامّ جداً. ويفضّل أن يأتي هو لزيارتك في هذا المكان.

ألبير : ماذا يريد مني ؟ هل يودّ فقط أن يكلّمني ؟

مسْكاريل : لديه سرّ عويص اكتشفه الآن، وهو بدون شك يهمّك ويهمّه للغاية. هذا ما كلّفني بأن أنقله اليك.

المشهد الثالث

البير

ألبير : ايتها السماء العادلة إهتزّي. لاننا سنعالج كلانا أمراً خطيراً. ربّما هناك عاصفة قد تقلب مصيرَيْنا رأساً على عقب بسبب السرّ الذي يُقلقني وأتوجّس خيفة من مضمونه أن يُسوِّد صفحة حياتي الى الأبد. لأن خباثتي قد انكشفت، ولأن الحقيقة مهما طال إخفاؤها لا تلبث ان تظهر. لقد تتبّعتُ مجرى الأحداث بُزعْرٍ شديد، إذ لمستُ اكثر من عشرين مرّة اني مخطئ بانتزاعي من بوليدور ما كان يخصّه. وها انا بين السندان والمطرقة أعرّض نفسي للمهانة، بعد أن منّيتها بتسوية المشاكل بدون فضيحة. لكن، يا للأسف، قُضيَ الأمر، وما دَخَلَ بيتي خلسةً لا بدّ له من أن يخرج علناً ويُلْبِسَني ثوب الخزي والعار.

المشهد الرابع

البير، وبوليدور

بوليدور : من النادر ان يؤدّي الزواج سرّاً بدون علم أحد، الى خاتمة سليمة مُطَمْئنة. لست أدري ما تخبّئه لي الأيام. وأخشى كثيراً غضْبة الاب المحقّة وثروته الضخمة. ها أنا أراه مُقبلاً.

ألبير : لله درّك، يا بوليدور. أراك لم تتأخر عن المجيء اليّ.

بوليدور : انا خائف من مقابلتك.

ألبير : وهل من داعٍ الى الإضطراب ؟

بوليدور : لست ادري من أين أبدأ حديثي معك.

ألبير : وما عسى أن يكون الموضوع ؟

بوليدور : أراك انت ايضاً بادي القلق والانزعاج.
ألبير : لماذا تغيّرتْ هكذا ملامحُ محياك.
بوليدور : أجدك، يا سيدي ألْبير، زائغ النظرات. لقد علمتُ سلفاً بقدومك اليّ.
ألبير : نعم، فانشغل بالي.
بوليدور : فاجأك هذا النبأ حتماً وأدهشك، كما حيّرني، وانا أكاد لا أصدّقه.
ألبير : انا خجول، والحياء ضعضع تفكيري.
بوليدور : حقاً هذا عمل غير محمود العاقبة، ولا يسعني ان أعذر فاعله.
ألبير : رَبُّنا رحيم غفور، يا صاح.
بوليدور : أهكذا تُواجه المسألة، يا صديقي.
ألبير : على الانسان أن يكون منصفاً.
بوليدور : يظهر عليك أنك كثير السماحة.
ألبير : هذه نعمة من الله، يا صاحبي.
بوليدور : والفضل الأكبر، لِبُعْد نظرك ورحابة صدرك.
ألبير : ولكي أنال صفحك، ها أنا أجثو على ركبتيّ امامك.
بوليدور : وانا ايضاً بدوري ألْتمس غفرانك.
ألبير : يمكنك ان تتلقّى العبرة من مغامرتي التعيسة.
بوليدور : يجدر بي أن أتوسّل أنا في هذه المشكلة اكثر منك.
ألبير : طيبةُ قلبك رقّقت شعوري.
بوليدور : وتواضعك ضاعف الشفقة في صدري.
ألبير : فأرجو معذرتك مرةً اخرى.
بوليدور : بل انا أطلب عفوك.
ألبير : هذا التصرف آلم فؤادي كثيراً.
بوليدور : وانا تأثرت الى أقصى حدّ.
ألبير : لذا أرجو ان لا تَسُوء الأحوال.
بوليدور : وانا أتمنّى إستتباب الهدوء، يا سيدي ألْبير.
ألبير : بشرفي، هذه هي أعزّ أُمنياتي.

بوليدور : وهذا هو لسان حالي أنا أيضاً.
ألبير : امّا ما يلزم من المال، فعليك أنت أن تحدّد مبلغه.
بوليدور : انا لا أطمع بأموالك، فأرصدْ للقضية قدر ما تشاء. لأنك المرجع في هذا الحلّ، ورأيك هو المعوَّل عليه.
ألبير : ما اطيب عنصرك، وما أروع إنصافك.
بوليدور : بل ما ألْطف طبعك، بعد معضلة كهذه.
ألبير : ارجو لك كل الخير والبركة.
بوليدور : عين الله ترعاك، أيها الأب الحنون.
ألبير : تعالَ نتعانق كالإخوة.
بوليدور : هيا نصفّي نوايانا، وننهي هذه المشكلة بسلام ووئام.
ألبير : ونشكر الله على هذه الخاتمة السعيدة.
بوليدور : انا لا أخفي عنك أني خشيت عدم قبولك بما جرى. فينتقل الخلاف الى لوسيل وابنك، نظراً الى ما لك من نفوذ وتأثير.
ألبير : أراك .عدت تتكلّم عن الأخطاء في قضية لوسيل.
بوليدور : لن أرجع الى الكلام غير المفيد. فأنا أودّ أن يتحمّل ابني مسؤولياته كاملةً، لأن ذلك يبهج فؤادك. وأعترف من جهتي أن ابني محقوق، وان ابنتك بدتْ ذات فضيلة مشكورة، اذ لم تطاوعْه في خطوة غير مشرّفة. فتحاشت القلاقل، رغم ما طغى عليها من إغراء غير بريء. وهكذا تلافت إغضابنا. ولكن بما أننا وصلنا الى هذه النتيجة التي ترضي الجميع، علينا ان نطوي صفحة الماضي بمباركتنا هذا الزفاف السعيد البهيج.
ألبير : يا إلهي، ما هذه اللفلفة ؟ وعمّا تتكلّم، يا رجل ؟ ما كدتُ أتخلّص من عرقلة، حتى وقعتُ في أخرى أدهى منها. ولم أعد أدري بماذا أجيبك. فإنْ زدنا كلمةً واحدة في غير محلها أخشى ان نهدم كل ما بنيناه من إتّفاق.
بوليدور : بماذا تفكّر، يا سيدي ألْبير ؟
ألبير : لا افكّر بشيء. أرجوك أن تُؤجّل متابعة الحديث الى وقت آخر. لأني أشعر ببعض الانزعاج فجأةً.

المشهد الخامس

بوليدور

بوليدور : إني أقرأ ما في قرارة نفسه وأُدركُ ما يضايقه. وهذا ما بكّته عليه ضميره. فإنّ خاطره لم يَرُقْ تماماً. ما دامت صورة العار ماثلة أمام عينيه. وما تهرُّبُه سوى دليل واضح على ما يعذّبه من الهمّ. أريد أن أشاطره مصابه واخفّف عنه أساه. ولا بدّ من مرور بعض الوقت لتهدئة روعه. لأن التفكير الطويل كثيراً ما يضاعف الألم. ها هو ابني المهووس، مصدر كل هذا الارتباك والاضطراب، قد أقبل.

المشهد السادس

بوليدور، وفالير

بوليدور : أخيراً، حظيتُ بلقائك، ايها الظريف الذي أقلق تصرفك الشاذ شيخوخة ابيك المسكين. فكل يوم تأتيني اخبارك العجيبة المخزية. ولا أسمع سوى الشكاوي من افعالك المحيّرة.

فالير : وماذا أتيت أنا من ذنبٍ يضايقك، لأستحقّ غضبك الوالدي بدل رضاك.

بوليدور : أكون رجلاً غريب الأطوار منحرف المزاج إذا اتّهمت ابني العاقل المسالم الذي يعيش كالقديسين داخل بيتي، وهو يصلّي ويصوم طوال اليوم من الصبح الى المساء، وقلت عنه انه يشوّش نظام الكون ـــ ويا له من إفتراء ذميم ـــ وقلت عنه إنه لا يعتبر أُبوّةً ولا قُربى، وإنه لا يتورّع عن ارتكاب الموبقات بالعشرات. وها انت في خاتمة المطاف تطلع علينا باقترانك خفيةً بابنة ألْبير التي أشركتها بمصيرك الغامض بدون ان تخشى مغبّة هذه الفوضى

الهدّامة. والأنكى انك تدّعي ان شاباً سواك هو الجاني، وأنك بريء من هذه التهمة الباطلة المشينة. وتتعجّب الآن كيف انا أؤنّبك على جرم لم تقترفه. يا لك من منافق لئيم، مرّغت شيبتي بالوحل وجرحت إحساسي، وأنا آمل بأن تحافظ على كرامتي ولو مرّة واحدة قبل حلول أجلي. (يخرج).

فالير (وحده) من أين انقضّت عليّ هذه الضربة القاسية ؟ نفسي مضطربة. ولا احد سوى مسكاريل قد زرع هذه الفكرة السيّئة في رؤوس الجميع. إنْ ذهبتُ اليه لن أظفر منه بأي تفسير، نظراً لتعوّده الكتمان الشديد. عليّ إذاً ان ألجأ الى الدهاء والمراوغة لأتبيّن الحقيقة بكل تفاصيلها. وإلّا صببت جام غضبي على رأسه الطائش العنيد.

المشهد السابع

مسكاريل، وفالير

فالير : يا مسكاريل، لقد قابلت الآن والدي وفهمت منه أنه مطّلع على مشكلتي بحذافيرها.

مسْكاريل : هل بلغتْه حقاً ؟

فالير : نعم.

مسْكاريل : وكيف علم بها، يا ترى ؟

فالير : لست أدري. ولا يسعني أن أتهم أحداً بالوشاية. غير أن المشكلة انتهت بتسوية لا بأس بها، لأنه لم يوجّه اليّ اية كلمة مزعجة. ورأيته قد عفا عمّا مضى ووافق على تصرّفي الذي استغربه أوّلاً. فأود أن أعرف من حمله على النظر الى قضيّتي هكذا بعين الرأفة والسماحة. وأنا لا أقوى على التعبير لك عن عظم ارتياحي واطمئناني لهذه الخاتمة.

مسْكاريل : وما رأيك إن قلت لك اني مهّدت السبيل الى إقتناعه وتحسين المعاملة التي صدرت منه حيالك ؟

فالير : وهل لك ان تخبرني كيف توصّلت الى هذه النتيجة المرضية ؟
مسكاريل : أؤكّد لك أني كلمته بلباقة وهوّنت عليه القضية ببراعة.
فالير : لكن، ألم يُسمعك عباراتٍ قارسة.
مسْكاريل : أرجوك أن لا تنسى مهارتي في تسهيل الأمور ودعمها بالحجج المنطقية المقنعة.
فالير : واذا عدل عن موافقته وخاصمني، فلن تنجو من نيل نصيبك من العقاب.
مسكاريل : ما هذا الكلام، يا سيدي ؟، انا لا أظن ان تحصل أية مفاجأة.
فالير : هل هذه هي الأمانة المعهودة التي تحرص على اظهارها لي ؟ بدون ان أخفي عنك توجّسي، أصرح لك بأن انقلاب ابي عليّ في هذا الموضوع سيرتدّ صداه على دهائك المراوغ ودجلك الفاشل، ايها المحتال الخبيث.
مسكاريل : مهلاً، مهلاً. انا لست مستعداً لتحمُّل أية ردّة فعل. على كل حال، أرجوك أن تصبر قليلاً حتى يكتمل النجاح في تلافي عواقب هذه المغامرة النادرة. لديّ اسباب عديدة توحي اليّ بأن الزفاف الذي عقدته سرّاً هو ضربة معلّم بارع، ستخفّف نتيجتها السعيدة أي غضب يمكن أن يحلّ علينا. فلا تخفْ ولا تضطربْ، بل كن مطمئنّ البال، قرير العين.
فالير : واذا كانت أقوالك المسكّنة لا طائل تحتها ؟
مسْكاريل : لديك الوقت الكافي للاقتصاص منّي. لكن يجدر بك ان تفكّر بحسن الختام، وان لا تتشاءم وتبتلّ قبل هطول المطر. فالرب كريم، ولا يُمسِكُ عونه عن المتّكل عليه. وانا واثق بأنك ستشكرني على مسعاي الخيّر.
فالير : سنرى. لكن لوسيل ...
مسْكاريل : مهلاً. ها هو أبوها آتٍ إلينا.

المشهد الثامن

فالير، وألْبير، ومسكاريل.

ألبير : كلما فكّرت في المعضلة، كلما وجدتها غريبة معقّدة تثير مخاوفي. لأن لوسيل تدّعي أن المسألة لا تعدو كونها إشاعة، وكلّمتني بطريقة بدّدت عني كل شكّ. هل أنت، يا سيدي، زججت سمعتي في هذه القصة الشائكة واعتبرتَ القضية غير لائقة ؟

مسْكاريل : أرجوك، يا سيدي ألْبير، أن تلطّف لهجتك، وأن تخفّف سُخطك على صهرك.

ألبير : لماذا تدعوه صهري، أيها الدجّال ؟ يظهر عليك أنك مساهم في تدبير المكيدة منذ البداية.

مسْكاريل : لا داعي لأن تستشيط غضباً.

ألبير : هل يروق لك ان تشترك ابنتي في فضيحة عائلية كهذه ؟

مسْكاريل : هو مستعد لتنفيذ كل رغباتك.

ألبير : لا أريد إلّا أن يُعلن الحقيقة. فإذا كان يبغي الإقتران بابنتي، وجب عليه أن يتقدم إلى طلب يدها رسمياً حسب الاصول المرعيّة، وأن يتقيّد بالواجبات ويلتمس رضى والدها، لا أن يلجأ الى الوسائل الملتوية التي تنافي اللياقة والاعراف.

مسْكاريل : ماذا تقول ؟ ألم توافق سرّاً على زفاف لوسيل الى سيدي ؟

ألبير : كلا، يا خسيس. هذا لم يحدث ولن يحدث مطلقاً.

مسْكاريل : مهلاً، يا سيدي. إن كان الأمر صحيحاً، هل توافق عليه، اذا ثبت لديك إتمام هذه القضية السرّية ؟

ألبير : واذا أكّدت لك ان ذلك ينافي الحقيقة، هل تنكر الأمر الواقع ؟

فالير : يا سيدي، هناك أدلّة تبرهن على أن ما أقوله هو عين الصواب.

ألبير : حسب ما يتبيّن لي، إن الخادم من طينة سيده، وكلاهما يكذبان.

مسْكاريل : بل هو رجل شريف، وأنا أشهد بصدق اقواله.

فالير : لا فائدة من مناقضة كلامك بالذات.
ألبير : كلاهما متفاهما كلصَّين في سوق الصاغة.
مسْكاريل : لديّ البرهان القاطع. وبدون أن نتشاجر، أرجوك ان تدع لوسيل تأتي وتتكلّم.
ألبير : واذا هي كذّبت إدعاءك ؟
مسكاريل : انا أتحدّاك، لأنها لن تُقْدم على ذلك، يا سيدي. عِدْني بأن تعلن موافقتك، وأنا مستعد لتعريض نفسي لأقسى العقوبات، إذا لم تعترف لك هي ذاتها بأن ما قلته انا هو الحقيقة بعينها.
ألبير : لا بدّ من جلاء هذا الغموض.
مسْكاريل : هيّا الى العمل، وستنتهي القضية على أحسن ما يرام.
ألبير : أريد ان اقول لك كلمة تخصّ لوسيل.
فالير : انا خائف ...
مسْكاريل : لا تفزع أبداً.

المشهد التاسع

فالير، والبير، ومسكاريل، ولوسيل

مسْكاريل : ارجوك، يا سيدي ألْبير، ان تلازم السكوت على الأقلّ. وأخيراً، يا سيدتي، إعتبري أن كل ما جرى ويجري الآن يؤول الى اسعادك. فان سيدي والدك، وقد علم بحبك، رضي بزوجك كصهر، وهو يتمنى لك السعادة والهناء. واذا شئت ان تبدّدي ضباب الغموض الذي يكتنف هذه المسألة، أرجوك أن تؤكّدي صحة اقوالي.
لوسيل : ماذا تقصّ علي، أيها المحتال ؟
مسْكاريل : أشكرك على هذا اللقب النبيل الذي تُلصقينه بي.
لوسيل : يُدهشني أن أسمع اليوم منك هذه الحكاية الطريفة.

فالير : العفو، يا سيدتي الحسناء. هذا الخادم قد تكلّم كما سمعت أنا عن اعلان زواجنا مرغَمَيْن.

لوسيل : زواجنا نحن انا وانت ؟

فالير : لقد افتضح أمرنا، يا حبيبتي لوسيل، ولم يعد من داعٍ الى إخفاء الحقيقة.

لوسيل : اية حقيقة ؟ ماذا تقول ؟ وهل ميلي إليك جعلك زوجي ؟

فالير : هذه الحقيقة تثير غيرة ألف حاسد. وأنا مدين بهذه السعادة لما تكنّينه لي من العواطف الصادقة والحب الخالص والوفاء المثالي. أنا أفهم ما يدعوك الى الاستياء من إفتضاح السرّ الذي شئتِ ان تكتميه، وانا نظيرك موافق على ذلك. ولكن ...

مسْكاريل : أجل، الحق عليّ أنا، لأني سبّبت هذه الفضيحة الخيّرة.

لوسيل : وهل هناك خيانة أفظع وأحطّ من هذه ؟ وأنت تعترف بها أمامي متباهياً بكل جسارة، وتظن أنك تفعل ما يرضيني ويسرّني. ليس لديّ أكره من هذا العاشق الدنيء الذي يلوّث سمعتي ويجرح قلبي ويجعل ابي يحزن كثيراً لسماعه هذه القصة السخيفة المؤسفة، ويشكّ بأمانتي وإخلاصي له، فيصدّق عقد زواجي المشين. وكل ما في الأمر يشير الى توريطك إياي في هذه المشكلة بدون علمي. فأين كرامة والدي وسعادة مصيري وسموّ مشاعري ؟ لقد مرّغتها كلها بالوحل، يا سافل، وأثرت غضب ابي واشقيتَ ايامي وحطّمت عواطفي في يوم واحد، قبل أن تتحقّق أمنيّتي في هذا الزفاف، مع العلم إن التسرّع في الكلام ليس الوسيلة الفضلى لبلوغ المراد. إبتعد عني، فإن أنوثتي وكرامتي تأبيان الخضوع لدسائسك العنيفة التي تجرح إحساسي. وسأعلّمك كيف تراعي شعوري.

فالير : قُضي الأمر، ولم يعد من مجال لتخفيف حدّة استيائها.

مسْكاريل : دعني أكلّمها. (**للوسيل**) : أرجوك يا سيدتي ان تتبصّري قليلاً. ما الفائدة الآن من كل هذا الانكار والتمثيل ؟ ما هي غايتك ؟ وماذا دعاك الى الانتفاض بمثل هذه الشدّة ؟ اذا كان سيدي والدك رجلاً حادّ الطبع، فهذا محتمل. لكنه سليم المنطق، وقد أراد هو بذاته أن يسمع اعترافك بما جرى.

لا بدّ من ان تشعري ببعض الحياء من التصريح بحبك وباتّباع هوى قلبك بكل حرية، ومن إقدامك على زواج يسعدك. فمهما لامك ابوك على هذا العمل الشريف، فإن إخفاءه ليس بجريمة تعادل قتل إنسان. ومن المعلوم أن ميول القلب ضعيفة، وان الفتاة ليست من خشب أو حجر، وانكِ انتِ بنوع خاص لستِ الاولى ولن تكوني الأخيرة في الإنسياق وراء عواطفكِ وهواكِ.

لوسيل : ماذا تقول ؟ أتسمح لنفسك يا سيدي ألْبير، أن تسمع هذا الحديث الوقح ولا تردّ عليه باعتباره خساسة سافلة ؟

ألبير : وماذا عساي أن أقول ؟ لقد ضعضعتْ هذه الحماقة رشدي.

مسْكاريل : اقسم لك، يا سيدتي، بأن الواجب يقضي عليكِ بأن تعترفي بكل ما جرى.

لوسيل : أعترف بماذا ؟

مسْكاريل : بماذا ؟ بما أقْدمتِ عليه أنت وسيدي. لقد أصبح إنكارك مهزلة مضحكة.

لوسيل : وماذا حدث بيني وبين سيدك، ايها المسخ القذر ؟

مسْكاريل : لا بد من ان تعرفي من هذه القصة اكثر مما أعرفه أنا. لأن الليلة الماضية كانت من اروع ليالي عمرك. ولا يسعك ان تنسيها بمثل هذه السرعة.

لوسيل : لقد طفح الكيل، يا أبي، وأضحى هذا الخادم الخبيث لا يُطاق.

المشهد العاشر

فالير، ومسكاريل، والبير

مسْكاريل : هذه إهانة لا يمكنني السكوت عنها.

ألبير : هذه صفعة على خدك، باركها والدها الذي لا يريد أن يصدّق ما حدث فعلاً.

مسْكاريل : مع ذلك، ليحملني إبليس الى أعماق الجحيم إن كنت قد نطقت بكلمة واحدة تخالف الواقع الأكيد.

ألبير : مع ذلك، أؤكّد لك انا اني مستعدّ ان أقبل بقطع اذنيّ ان كنت سمعت كلمة واحدة أفظع من وقاحتك ودجلك.

مسْكاريل : هل تريد ان تستمع الى شهادة اثنَيْن يثبتان صحة ما أقول ؟

ألبير : وهل تريد أنت أن أكلّف رجالي بتأديبك وضربك بالقضبان ؟

مسْكاريل : هذه شهادة تدعم ما أعلنته، وما يريد غيري أن يخفيه ويطمس معالمه.

ألبير : وستكون ضرباتهم موجعة اكثر مما تنزله بك ذراعي من ألم.

مسْكاريل : أؤكّد لك ان إنكار لوسيل هو الآن من قبيل الحياء.

ألبير : وانا أعلن لك بأني سأكون الفائز في خاتمة المطاف.

مسْكاريل : هل تعرف السيد أورْمان الكاتب العدل البدين الشهير ؟

ألبير : وهل تعرف أنت كرانْبان جلّاد المدينة الضخم ؟

مسْكاريل : وسمعان الخيّاط الذي كان معروفاً في قديم الزمان ؟

ألبير : والمشنقة المنصوبة في وسط السوق المزدحم ؟

مسْكاريل : سيُثبت لك شاهداي حدوث هذا الزفاف.

ألبير : وسيجلب لك الجلّاد آخرتك التي تريحنا من مشاكلك.

مسْكاريل : لقد كانا شاهدَيْ هذا الزواج بالذات.

ألبير : وسينتقم لي رجالي منك شرّ انتقام.

مسْكاريل : لقد ابصراهما يتبادلان عبارات الارتباط بوثاق الزواج.

ألبير : وستبصرك عيناهما كومة حطام.

مسْكاريل : والعلامة الفارقة، هي أن لوسيل كانت تضع على رأسها خماراً اسود.

ألبير : وكدليل على سوء مصيرك، ستظل مطروحاً على الأرض زمناً طويلاً.

مسْكاريل : يا لك من عجوز عنيد.

ألبير : تبّاً لك من خسيس دنيء. أُشكُرْ ربك على تقدّمي في السن الذي

جعلني أقصّر في تأديبك، ومعاقبتك فوراً، أيها الوقح، على ما الحقته بي من إهانات. لكني أعدك وعداً قاطعاً بأن يكون حسابك عسيراً وقريباً جداً.

المشهد الحادي عشر

فالير ومسكاريل

فالير : أين نجاحك في مهمّتك الجريئة ؟

مسكاريل : لقد فهمتُ ما تريد ان تبلغني اياه. فكل الأمور انقلبت عليّ، من ضربات القضبان الى حبل المشنقة الذي يهدّدني. لذلك وجدت الأسلم لي ازاء هذه الفوضى العارمة أن اذهب وأُلقي بنفسي من علوّ صخرة شاهقة. فلم يعد لي من أمل في احقاق الحقّ. لذا استودعك الله، يا سيدي.

فالير : لا، لا حاجة لهربك. واذا مُتّ سيُظنُّ ان ذلك حصل قضاءً وقدراً.

مسكاريل : أنا لا أحبّ أن أموت تحت أنظارك، وأن تُنسب وفاتي المقصودة الى القدر الغاشم.

فالير : إتبعني اذاً، يا جبان، فإن عطفي عليك سينقذك من الشماتة.

مسكاريل : ما أتعس حظي. لقد جلبتُ المتاعب لنفسي وتحملتُ المسؤولية والعقاب عن جريرة سواي.

الفصل الرابع
المشهد الأول

أسكاني، وفروسين

فروسين : أضحت المغامرة خطيرة ومزعجة.

أسكاني : آه، يا عزيزتي فروسين. لقد حكم عليّ سوء مصيري بتحطيم مستقبلي. هذه المشكلة وصلت الى حدّ يجب أن لا تتوقّف عنده. لا بدّ من جلاء غوامضها، ولا بد للوسيل وفالير، موضوع هذه المفاجأة الغريبة من إعلان زواجهما بعد أن لفّاه بالكتمان الشديد. ها قد فشلت في وضع خطّتي على مسارها الصحيح. بالاضافة الى ذلك ساهم ألْبير ذاته من حيث لا يدري بإيصال القضية الى الدرب المسدود، وهو لا يريد ان يصدّق ما جرى. علينا الآن أن نلجأ الى الحلّ الأنسب لجعله يرضى بقران ابنته المحرومة من المال والأُسْرة.

فروسين : انا اجد هذا الحلّ معقولاً، لو جاء قبل الآن. لكن، كيف لم يخطر ببالنا في حينه ؟ على كل حال لا بدّ من بلوغ المرام.

أسكاني : ماذا يجب عليّ أن أفعل ؟ قلقي يتعاظم ويحرمني راحة النوم. أرجوك أن تزوّدِيني بنصحكِ السديد.

فروسين : جاء دورك الآن كي تُسْدي النصح اليّ في مأزقي الحرج. لأنك انتِ تمثّلينني كما أنا امثّلك. أتوسّل إليكِ ان تجدي علاجاً عاجلاً لعلتي المستعصية.

أسكاني : يؤسفني ان تنظري الى قضيتي كأنها مهزلة. لذلك جاء تفكيري في ضيقي خاطئاً. حرام عليكِ أن تَسْخري من فتاة غائصة مثلي في رمالٍ وضع مريب.

فروسين : كلا، بالعكس انا أقدّر سبب ارتباكك حقّ قدره. ولكي انقذ موقفك سأفعل المستحيل. ولكن، ما حيلتي أمام تيّارٍ جارفٍ يعاكس مساعيك. أرى أن التغلّب على وجهات النظر المغايرة لمصلحة حبّك وزواجك ليس بالأمر الهيّن.

أسكاني : اذا لم يكن بإمكانك إسعافي، فالأَوْلى بي أن ازول من الوجود.

فروسين : لا مجالَ لحدوث ذلك الآن. لأن كأس الموت الذي لا بدّ من تجرّعه يوماً هو حلٌّ مبكر يجب على المرء تأخيره بقدر المستطاع.

أسكاني : لا، لا، يا فروسين. إذا كانت نصائحك لا تحلّ مشكلتي فلا سبيل لي للتخلّص من يأسي بطريقة معقولة مقبولة.

فروسين : أتدرين بماذا أفكّر ؟ يجب عليّ ان أذهب لمقابلة ... هيّا ... لكن، هذا أراسْت قادم إلينا، ويمكنه أن يُلهينا. فتعالي نتمشّى ونحاول أن نلاقي مخرجاً مناسباً من هذه الورطة. هيا ننسحب.

المشهد الثاني

أراسْت، وكرو رينيه

أراسْت : هذه خيبة أخرى جسيمة.

كرو رينيه : لم يُقابَل مصلحٌ كما قوبلْتُ انا. فما كدت أُبلغها الخبر حتى أجابتني بحذر : انا اعتبرك دجّالاً نظيره. هيّا قُلْ له ان يبحث عن حلّ مشكلته في مكان آخر. ثم أدارت لي ظهرها. وكذلك فعلت مارينات التي انتهرتني بازدراء قائلة : أُتركنا وشأننا أيها الخادم المتطفّل. وهكذا بتْنا كلانا موضوع إتهام واحتقار.

أراسْت : جاحدة سافلة، ومتكبّرة عنيدة. لو كانت صغيرة السنّ جاهلة لكان لها بعض العذر. ولكنني أنا المحقوق، إذ رضيتُ بأن أساهم في حلّ مشكلتها المعقّدة. فعاملتني كأني خصمها اللدود، أنا الذي لجأت من أجلها الى كل الوسائل حتى الوقاحة والمجابهة. غير أني لم أفقْ من أوهامي إلّا متأخّراً. ولم استمع الى محاضراتها المتفلسفة، لأن قلبي المغرم بها سايرها الى أبعد حدود المسايرة. وها هي ناكرة الجميل تُشهرْ سلاحها عليّ وتنفي كل الأدلّة القاطعة لتبرّئ نفسها وتُلقي كل المسؤولية عليّ وحدي، وانا أتخبّط الآن في معضلتها، بينما هي قد تنصّلت من مشاركتها فيها لتتجنب الملامة.

كرو رينيه : هذا لسان حالي تماماً أنا ايضاً. فأصبحنا كلانا في قفص الاتهام. وما علينا إلّا ان نضع حبّنا في مرتبة الأخطاء السخيفة، وأن نعلّم هذا الجنس اللطيف الطائش معنى المسؤولية والشجاعة ووجوب تحمّلها. وبدفاعنا عن حقوقنا وعدم التفريط بها نكون قد لقّنّاها درساً قاسياً لن تنساه مدى العمر. سأستحقّ الشنق إن تركت لها المجال بعد اليوم كي تعاملنا باستبدادها المعلوم، وتتصرف حيالنا بمثل هذا الاستهتار. اذ يتحتّم علينا نحن الرجال ان نُثبت لها أننا دائماً سادة الموقف، نفرض مشيئتنا كما يحلو لنا، بدون ان نخضع لغنجها ودلالها.

أراسْت : اما انا فأرى حلّاً آخر، أودّ ان أعتمده، وسأُثبت لصديقتي أني قادر على استبدال حبها بهوى امرأة جديدة تلائمني وتُكرمني اكثر منها.

كرو رينيه : وأنا لا أريد بعد الآن ان أرْبك تفكيري بأية امرأة. سأقاطع بنات حواء بحزم وعزم. فلماذا لا تحذو حذوي ؟ لأن المرأة كما يقال، يا سيدي، من نوع الحيوان يصعب ادراك تصرفها ونواياها. وبما أن الحيوان يظلّ حيواناً ولا يمكنه إلّا ان يكون حيواناً وإن ظل مئة الف سنة في عالم الوجود، ستظل المرأة إمرأة، ولن تكون إلا إمرأة ما دامت القلوب تنبض فيها الحياة. ومن هنا جاء قول أحد رجال الإغريق : إن دماغه يشبه الرمل المتحرك كلما حاول أن يفكّر في تصرّف المرأة. وهذا فعلاً منطق غريب عجيب وبما ان الرأس الذي يحوي الدماغ هو أهم ما في جسم الانسان، فإذا لم ينسجم البدن وهذا الرأس، يصبح حيواناً أهوج، ومصدر مشاكل واضطرابات لا تنتهي. لأن

الواحد يكون الخيّال والآخر المطيّة، الأوّل رخواً والثاني صلباً فلا يتفقان، وتُؤدّي التعقيدات دوماً الى فوضى لا حدود لها. وما رأس المرأة الّا كدولاب الهواء الموجود في أعلى سطح المنزل يدور باتجاه شتّى الرياح. لذا غالباً مّا شبّهها الفيلسوف أرسطاليس بالبحر الهائج المتلاطم الامواج الذي يحيط بالأراضي اليابسة. وهذا التشبيه في نظرنا نحن الرجال يظلّ صحيحاً ما دامت العواصف تحرّك دوماً جبال الامواج المتلاطمة التي تتلاعب بمصير من يركبها فترتفع به تارةً وتهبط طوراً، ويلاقي بسببها شتّى الأهوال. وهذا حال من يركن الى أهواء المرأة الغامضة كأنواء البحر، والمتنقّلة كرمال الصحراء أمام الرياح العاتية المتسلّطة على جنون الأمواج وكثبان الرمال. بالاختصار علينا ان ندرك أخيراً أن حوّاء في الواقع أدهى من الشيطان الرجيم.

أراسْت : هذا تحليل مُوفّق للغاية.

كرو رينيه : اشكرك على هذا الإطراء، يا سيدي. ولكنْ إنتبهْ. ها هي عازمة على المرور من هنا. فعليك ان تعتصم حيالها بحبل العزم والحزم لصون كرامتنا وحقوقنا.

أراسْت : لا ينشغلْ بالك من هذا القبيل.

كرو رينيه : أخشى ان ترميك بسهام عينيها، فتقع صريع فتنة انوثتها.

المشهد الثالث

اراسْت، ولوسيل، ومارينات، وكرو رينيه.

مارينات : انا لا ازال اراقبه، فإياك ان تستسلمي الى سحر عينيه.

لوسيل : لا تظني أني ضعيفة الى هذا الحدّ.

مارينات : ها هو يتقدّم نحونا.

أراسْت : لا، لا. لا تعتقدي، يا سيدتي، اني آتٍ لأكلمك عن هيامي. لقد فات ذلك الزمان، وأنا قد شفيت من علّتي، وبتّ أتحاشى ما أصابني من سهام

لحظك. ولقد أدمى فؤادي ما تكبّدتُه من كيْدك. فتُبْتُ ولم أعد أحنّ الى أَلْطافك. فلن ينوبك منّي بعد الآن إلّا الازدراء. لأني أعترف بأن كرم أخلاقي وتساهلي وسماحتي جعلتك تستبدّين بقلبي الرقيق الشغوف. فقد زالت أيامٌ حسبت فيها قيود حبك اغلى من صولجان الملك، لشدّة ولعي بمودّتك. لكن سوء سلوكك قَلَبَ الآية وسحق فؤادي. وجعلني أكْفُر بالحب الذي حلّ محله الحقد، وانتفض متمرداً على كل عطفٍ وحنانٍ أُنثوي.

لوسيل : ارجوك ان تحفظ ثناءك هذا المهين لنفسك، يا سيدي. وأن تَعفّ عن زلّات لسانك الزلق بحقّي لأني لا أستحق هذا اللوم.

أراسْت : لذا، يا سيدتي، يمكنك ان تعتبريني في حلّ من كل ما ربطني بك في الماضي من العواطف الصادقة. وكوني على يقين بأني لن أعود بعد اليوم الى ذكرك بصورة من الصور.

لوسيل : انا لا أتمنى سوى ذلك. وهذا كل ما أضحى يُرضيني.

أراسْت : لا، لا تخافي من أن أتحدّث اليك فيما بعد، مهما كان قلبي ضعيفاً وميالاً إليك فيما مضى الى حدّ يصعب عليّ محو رسمكِ من ذهني. واطمئنّي اني لن أعود مطلقاً لأشاهدك.

لوسيل : حسناً تفعل، لأني لا أريد انا ايضاً ان اراك بعد الآن.

أراسْت : سأطعن فؤادي أَلْف طعنة ان تدنّى وحنّ الى مشاهدتك بعد خفرك عهدي.

لوسيل : فليكن ما تريد. ولنكفّ عن هذا الحديث المزعج.

أراسْت : أجل، أجل. لنكفّ عن هذا الكلام العقيم. وسيكون هذا أصدق برهان على عدم رجوعي الى سابق حبّنا. لأني مصمّم على كسر القيد الذي طوّقتِ به عنقي، وأن أُزيل كل اثر لرسمك من مخيّلتي، رغم كل ما كان يزيّنه لي حبّك الخدّاع وسحر عينيك المخاتل الذي يخفي وراءه الف إبليس. وهكذا أتحرر من طغيان انوثتك المستبدّة.

كرو رينيه : حسناً تفعل.

لوسيل : وانا ايضاً أحذو حذوكَ، وأعيد إليك خاتم الماس رمز خطوبتنا.

مارينات : هذه خير خاتمة لأحزان مهجتي.

أراسْت : وانا اردّ لكِ هذه السلسلة لقطع كل صلة بكِ.
لوسيل : خذ أيضاً هذا العقد وخبّئه في مكان حريز.
أراسْت (**يقرأ**) :انتَ تهواني يا أراسْت وتهيم بحبّي.
وانا بنور عينيك يستضيء عقلي وقلبي،
وتدلّهي بهواكَ يقيدني كالعبيد،
لأنه أقوى وأبقى من كل غرام عنيد.
(**يواصل القراءة بعد توقّف قصير**) :
انتَ تؤكّد لي مبادلتك غرامي.
وهذا جلّ ما يحقّق أعذب أحلامي.
لوسيل (**تقرأ**) :أنا أجهل مصير هيامي الشديد،
فإلى متى سيدوم عذابي الفريد ؟
لكنّي أنوي، يا للجمال الساحر،
أن أظلّ أسيرة هواكَ القاهر.
(**تواصل القراءة بعد توقّف قصير**) :
هذه أفضل ضمانة لدوام شعورك
لأن اليد والرسالة لا تبوحان بكافّة أسرارك.
كرو رينيه : ما أحلى المجابهة هكذا.
أراسْت : هذا نصيبكَ ايضاً، وحظكَ ليس أوْلى من مصيري.
مارينات : ما أَجْدى الصمود.
لوسيل : لن أوفّر وسيلة لتمتين الحواجز بيننا.
كرو رينيه : لا تتراجعي عن تحصين حدودكِ.
مارينات : من يثبت الى النهاية يظفر.
لوسيل : اخيراً قطعت جميع العلاقات بك.
أراسْت : شكراً لربّ السماء الذي نجّاني منك. وليأخذ أمانتي اذا لم أكن أميناً لتعهّداتي.
لوسيل : وانا أيضاً أفضّل الموت ألف مرة، إن لم أفِ بوعودي،
أراسْت : الوداع اذاً.

لوسيل : الوداع الذي ما بعده لقاء.
مارينات : هذا خير فراق.
كرو رينيه : انتِ فيه الرابحة.
مارينات : هيا، اغربْ عن ناظره.
كرو رينيه : اجل عليك ان تنسحبي بعد هذا الجهد الأخير.
مارينات : ماذا تترقبين بعد كل ما حصل ؟
كرو رينيه : وماذا بقي بعد ؟
أراسْت : قلبي، يا لوسيل، يتلهَّف على فقدانك. لكن ما حيلتي ؟
لوسيل : وأنا أنّى لي، يا أراسْت، ان أجد قلباً نظير قلبك ؟ وأنا واثقة بأن خسارته لا يعوّضها أي حبّ آخر.
أراسْت : لا، لا. إبحثي أينما شئت، فلن تجدي مثل قلبي المخلص. انا لا اقول لك ذلك لكي استدرّ عطفك. غير اني لا أتمالك عن إعلان الحقيقة الناصعة. أنتِ قصدتِ الانفصال لأنك تخلّيتِ عن مودّتي. وثقي بأنك مهما بحثتِ وانتظرتِ لن تلاقي من يهواك اكثر منّي.
لوسيل : حين يحبّ الانسان، عليه أن يعتمد أسلوباً صالحاً لتَبَادل العواطف.
أراسْت : أجل، في العشق يجب على المرء أن يبتعد عن عواطف الغيرة والحسد. وان لا تغرّه المظاهر الخدّاعة، بل أن يحرص دائماً على عدم التفريط بالكنز الذي يكون في حوزته، كما فعلتِ انتِ.
لوسيل : الغيرة الصادقة، ربما كانت اكثر أهلية للاحترام.
أراسْت : أجل، لأن ضرب الحبيب يكون أحياناً ألَذّ من الزبيب.
لوسيل : لا، لا. قلبك يا أراسْت لم يكن مضطرماً حبّاً كما يجب.
أراسْت : وانت، يا لوسيل، لم تشعري نحوي بأي غرام حقيقي.
لوسيل : أظن أن ذلك لا يستهويك كفاية. وربما كان الأمر أوْلى بالنسبة اليّ. لو كنت ... لنكفّ عن هذا الكلام الفارغ. فأنا لم أعد أرغب في تبرير موقفي.
أراسْت : لماذا ؟
لوسيل : لان متابعة سياق الماضي، لم يعد لها من موجب بعد الفتور.

أراسْت : هل حقاً نوينا على الانفصال نهائياً ؟
لوسيل : أجل، حقاً نحن لم نصل بعد الى نقطة عدم الرجوع.
أراسْت : أراكِ تنظرين الى ذلك بعين الرضى.
لوسيل : انا مثلك تماماً.
أراسْت : مثلي انا ؟
لوسيل : بدون شكّ. يكون ضعفاً منا، إن تركْنا الناس يلاحظون أنّ شوك الصدّ يجرح إحساسنا.
أراسْت : لكنك أنتِ، يا قاسية، أردت ذلك.
لوسيل : أبداً، انت الذي قصدت هذه النهاية المزعجة.
أراسْت : انا ؟ لقد ظننت اني أحقّق لك رغبتك وسعادتك.
لوسيل : كلا، انت شئت ان تُرضي غرورك وعنفوانك.
أراسْت : لو ودّ قلبي ان يعود الى سجنه، رغم ما ذاقه فيه من قهر الأسر والعذاب، لكان طلب العفو والمعذرة.
لوسيل : لا، لا تُقْدِم على هذا. لأن ضعف إرادتي أوصلني الى حد أن لا أتردّد في منحكَ ما تصبو اليه.
أراسْت : لم يعد بإمكانك أن تمنحيني اياه كما تقولين، وأنا أخشى أن أسألك ذلك. فما ضرّك لو قبلت، يا سيدتي، أن تراضي حباً ملتهباً بغرامك. من أجل مصلحتكِ، عليك أن تظلّي ثابتة الجنان. أنا ألْتمس هذه النعمة، فهل تريدين ان تجودي بها عليّ وتسامحيني.
لوسيل : هيَّا أعِذْني إذاً الى بيتي.

المشهد الرابع

مارينات، وكرو رينيه.

مارينات : يا لك من جبان.
كرو رينيه : وانت ما أقلّ شجاعتكِ.
مارينات : إني أحمرّ خجلاً من سلوكك المخجل.
كرو رينيه : وأنا أكاد انفجر غيْظاً. فلا تظنّي أني أستسلم بسهولة.
مارينات : وأنتَ لا تعتقد أنك ستلتقي ثانيةً بمن أمعنتَ في خداعها.
كرو رينيه : تعالي، تعالي عانقيني واسترضيني.
مارينات : تخطئ حتماً اذا ظننتني شخصاً آخر تعرفه. ولربما حسبتَ اني نظير سيدتي. خسئْتَ، مهما تقرّبتَ وحاولتَ مصالحتي. فأنا لم اعد أطيق رؤية وجهك المشؤوم. ولا تفكّر أني بعد الآن أهفو الى مشاهدة سحنتك البغيضة. أجل خسئْتَ. يمكنك ان تبحث وتسعى لنيل رضى فتاةٍ غيري.
كرو رينيه : ها، ها. ما لكِ تقدّرين نفسكِ اكثر مما تساوين. ها هي صديقتك الظريفة التي لا تجد لنفسها مثيلاً، قد طلبت مني ان أعود الى مصاحبتها ومسايرتها.
مارينات : وأنت لكي تقتنع بأني أكرهك وأتجنبك، أَردُّ إليك كمية الدبابيس الباريسية الكبيرة التي أهديتني إياها يوم أمس متباهياً.
كرو رينيه : وها أنا اردّ إليكِ سكينكِ النادرة الجميلة التي قدّمتها لي.
مارينات : وها هو مقصّك وسلسلته النحاسية الصفراء.
كرو رينيه : لقد نسيت جبنتكِ التي أطعمتني إياها يوم امس الأول. ثم إليك حساءك الذي قدّمته لي. وهكذا لا أكون مديناً لك بأية مَنّة.
مارينات : لا أحمل أية رسالة منك لأردّها اليك حالاً. لكنني سأحرق جميع رسائلك التي أخبّئها.
كرو رينيه : هل تعلمين ماذا سأفعل بتحاريرك ؟
مارينات : اياكَ بعد الآن أن تأتي وتتوسّل الي ثانية وتستعطفني.

كرو رينيه : لكي أقطع عليك طريق العودة الى سابق عهدكِ، لا بدّ لي من أن أقسم القشة الأخيرة. حينئذ يكون الوصل بيننا قد انقطع تماماً، فلا تغمزيني بعينيك،، لئلا أستاء وأحمل عليك.

مارينات : وأنت إياك أن تسترق النظر إليّ. فأنا لم أعد أحتمل التطلّع إليكَ.

كرو رينيه : الإنفصال الكامل هو الوسيلة الفعّالة التي تحول دون تحاورنا مجدّداً. لا شيء سوى الانفصال التامّ يباعد بيننا. لماذا تضحكين، أيتها الدبّة الثقيلة الظل.

مارينات : لأن رؤيتكَ باتت تضحكني لشدة غرابة أطوارك ومظهركَ.

كرو رينيه : لتحملكِ العفاريت، إن عدتِ الى الضحك. أنا الآن أكظم غيظي وأخفض لهجتي. فما رأيكِ ؟ هل نلجأ الى الإنفصال كما ننوي، أم أنكِ تفضّلين الوصال ؟ أصدقيني.

مارينات : شاور نفسك.

كرو رينيه : بل أنتِ شاوري نفسكِ.

مارينات : عليك أنتَ أن تشاور نفسكَ وتجيبني.

كرو رينيه : هل أنتِ حقاً موافقة على أن لا أُحبك أبداً بعد اليوم ؟

مارينات : أتسألني ؟ إفعل أنتَ ما يحلو لك.

كرو رينيه : هيّا، قولي لي، ماذا ترتئين ؟

مارينات : أنا لا أنبس ببنت شفة.

كرو رينيه : ولا أنا ايضاً.

مارينات : ولا أنا بدوري.

كرو رينيه : فالاجدر بنا أن نتحاشى كلانا النكايات، لأنها لا تفضي الى أي خير. ضعي يدك في يدي، فأسامحكِ.

مارينات : وانا كذلك أغفر لكَ.

كرو رينيه : يا إلهي، كم أنا مشتاق الى مشاكستكِ، يا مارينات.

مارينات : وكم أنا متلهّفة الى مناجاتك، يا حبيبي كرو رينيه.

الفصل الخامس
المشهد الأول

مسكاريل

مسكاريل : « حالما يهبط ظلام الليل على المدينة سأتسلّل الى مسكن لوسيل. فعجّل في الذهاب لتهيّئ الظروف، وأعدّ المصباح والسلاح ». عندما قال لي هذه الكلمات خُيّل إليّ أني أسمع العبارة التالية : « هيّا أجلب الحبل بسرعة واشنق نفسك ». فتأمّل، يا سيدي، الى أين دفعتني طلباتك المشؤومة. لكن لم يتّسع لديّ الوقت لأردّ عليك. غير أني هنا أودّ أن أخاطبك، وأبيّن لك تحاملك عليّ. فتهيّأ للدفاع عن ذاتك ولنتناقش بهدوء. تقول انك تريد الذهاب هذه الليلة لزيارة لوسيل. وماذا تقصد بهذه المقابلة ؟ هذا تصرّف عاشق يطلب المتعة، بل هذا عمل إنسان ضيّق التفكير، يقتحم المخاطر ويعرّض حياته للتهلكة. لكنك تدرك أي عامل يدفعني نحو لوسيل المتمرّدة. تبّاً لها من عنيدة. غير أن الحب يقتضي وجودي الى جانبها لتهدئة روعها. لأن هواها المهووس لا يُدرك خطورة عواقبه. أرجوك ان تقول لي : هل من يضمن نزوات هذا العشق الأعمى الذي لا يراعي ظروف خصمٍ أو أبٍ أو أخٍ غاضب. هل تعتقد ان احد هؤلاء المستائين يفكّر بأذيّتي في حال إقدامي على هذه المداهمة. أجل، أنا على يقين بحدوث ذلك، لا سيما من قِبَل كل غريم. على كل حال سنذهب مسلّحين، وإذا إعترض احد سبيلنا سنهاجمه حتماً.

وهذا ما لا يتبجح به خادمك، الأقوى الأمين إذ يجيب : انا لن أخاصم أحداً. هل أنا عنترة، وهل سيدي هو أبو زيد الهلالي ؟ إن من يدّعي معرفتي يجب عليه ان يعلم جيداً أني لا أنوي مطلقاً تعريض نفسي للمهالك. ولا يزعجني بصورة غريبة إلّا القول لي إنّ عليّ أنْ اكون مدجّجاً بالسلاح من قمّة رأسي الى أخمص قدميّ. فبئس المصير إن كان نصيبي أن أهرب الى التلال المجاورة حيث يمكنني أن أنزلق وأتدحرج على المنحدر. وفضلاً عن ذلك أُنعَتُ بأني جبان رعديد. هذا لا يهمّني، ما دمت سأبقى على قيد الحياة. اذا كانت طاولة اللعب ينقصها لاعب، يسرّني أن أكون رابع اللاعبين. أما إذا دُعيتُ الى القتال، فأنا غائب، لست هنا. أخيراً، إذا كان للعالم الآخر بعض المناهج، فأنا أجد هذه الدنيا حلوة حافلة بالمسرّات. حتماً لست بمشتاق الى مواجهة الموت، ولا الى الجراح. وأؤكد لكم أني أترك لمزاجكم وغروركم لذّة ارتكاب الحماقات والاشتراك بالمعارك الضارية.

المشهد الثاني

فالير، ومسكاريل.

فالير : لم أبصر يوماً مملّاً مزعجاً كهذا. فكأن الشمس قد نسيت ذاتها في كبد السماء، ولا تريد ان تغيب، وهي ترسل أشعّتها في كلّ اتجاه وتملأ الكون ضياءً، ولا تدع المساء يُقبل ولا الليل يُسدل على الدنيا ستائر الظلام. وهذا ما يُحزن نفسي ويعكّر صفو عيشي ويؤخر عليّ نيل مبتغاي.

مسْكاريل : وإن لم يمكنك الاسراع لإنتهاز فُرَص الإنشراح كي تبادر الى اقتناص العراقيل المشؤومة، وتجد لوسيل في أحرج المواقف ...

فالير : لا تقصّ علي حكايات حزينة، ولا تتوقّع لي أن ألاقي ألْف كمين مُهلك تضيق له نفسي، فألعن حظّي العاثر. بينما أنا أودّ أن ألَطّف الجو المتلبد حولي، وأخفّف وطأة كآبتي.

مسْكاريل : انا أشجعك على التشبّث بهذه النزعة المسالمة المتفائلة. لكن المشكل هو الاضطرار الى تسلّلك خفيةً للخلاص من ورطتك.

فالير : وما ضرر ذلك ؟

مسْكاريل : أخشى ان تعاكسنا الظروف.

فالير : كيف ؟

مسْكاريل : مثلاً أن تداهمني نوبة سعالٍ حادة، ويساهم ضجيجها في اكتشاف وجودنا غير المرغوب هناك. ومن لحظة الى اخرى تتبدّل الأحوال وتؤول الى ما لا تحمد عقباه.

فالير : لتلافي هذا العارض، عليك أن تشرب نقيع السوس.

مسْكاريل : لا حاجة الى ذلك، يا سيدي. المهمّ ان لا ينتابني أي عارض. وأكون أسعد الناس، إن لم أتسبّب في ما يجلب لك المتاعب. لكن أسفي لن يكون له حدّ، اذا كنت مع ذلك مصدر أذى تتعرّض له شخصيّاً، يا سيدي العزيز.

المشهد الثالث

فالير، ولا رابيار، ومسكاريل.

لا رابِيار : جئت، يا سيدي، أُبلغك ما علمت به من حقد أراسْت عليك الى أقصى حدّ، وقد أخبر ألْبير إبنته بأنه ينوي تحطيم رأس خادمك مسكاريل.

مسْكاريل : انا لا ناقة لي ولا جمل في هذه القضيّة الشائكة. فماذا جنيت لكي يُحطّم رأسي ؟ هل أنا حارسه لكي أتعرّض لهذا الاسلوب من العذاب الأليم، أو مكلَّف بالمحافظة على عفّة بنات المدينة ؟ وهل أنا مسؤول عن وقايته ودرء المخاطر عنه ؟ هل انا الضعيف قادر على منع من يَعِنّ على باله إرواء غليله في ليلة معتمة ؟

فالير : مهما قيل عن المشاغب، ليس رديئاً الى هذا الحدّ. ومهما اشتدّ بأس

أراست فإنه بنوع خاص لن ينال منّا بسهولة.

لا رابِيار : اذا اقتضى الأمر، ها هو ساعدي في خدمتكم. وكونوا على يقين من وفائي لكم كأخٍ محب مُجير.

فالير : أشكرك على مروءتك وهمّتك، يا سيدي لا رابيار.

لا رابِيار : لي صديقان يمكنني ان استدعيهما لمساعدتنا. وهما مقاتلان لا يُشقّ لهما غبار، ونستطيع أن نلقي عليهما اتكالنا باطمئنان.

مسْكاريل : ارجوك، يا سيدي، أن تقبل عونهما.

فالير : هذا لطف زائد أقدّره لك حقّ قدره.

لا رابِيار : كان بإمكان رفيقي جيل الصغير أن يساعدنا أيضاً لو لم يُصَب في حادث، منعه عن ذلك. أمّا المشكل الأكبر، يا سيدي، فيكمن في وجود رجال الأمن. لا بدّ من ان تكون قد علمتَ، يا سيدي، ما انزلْته به العدالة عندما أصدرت حكمها عليه، فهشّم الجلاد عظامه، ولم يدع له مجال إلتقاط أنفاسه.

فالير : يا سيدي لا رابيار، هذا أمر مؤسف حقاً، وأنا أشكرك على اصطحابك مرافقَيْك.

لا رابِيار : لا شكر على الواجب. لكن إحذر من أن يَنْصُب لك أحد كميناً، ويتربّص بك شرّاً.

فالير : ولكي أثبت لكم كم أنا مستعدّ لمجابهة أيٍ كان، ترونني جاهزاً لردّ كيده الى نحره، وأضمن لكم الأمان التامّ، اذا شئتم أن تتجوّلوا في المدينة برفقتي.

مسْكاريل : لماذا تشير علينا بأن يحاول سيدي الذهاب لمواجهة ربّه ؟ ما هذه الجسارة، وما هذا العنفوان ؟ ما أوفر المخاطر التي تهدّد حياتنا من جميع الجهات ...

فالير : ماذا تتوقّع هنا غير ذلك ؟

مسْكاريل : هو يشعر بحضور القضيب في هذه الناحية. أخيراً، اذا عيل صبري وطفح كيل تبصّري، لا أجد حكمةً في بقائنا وسط الشارع. فلا نعانْد ونظلّ حيث نحن. الأجدر بنا ان نلجأ الى مكان آمن.

فالير : ان نلجأ الى مكان آمن ؟ يا لك من دجّال جبان. أأنت تقترح علينا هذا الحل السخيف ؟ هيا اتبعني بدون جِدَال.

مسْكاريل : الحياة حلوة، يا سيدي الكريم. والموت المباغت يحرمنا منها الى الابد.

فالير : سأقتلك ضرباً بالقضيب، اذا سمعت صوتك. سيأتي أسكاني الى هنا. وعلينا أن نعلم الى أي فريق سينضمّ. مع ذلك تعالَ معي الى البيت خشية أن يحتكّ بنا.

مسْكاريل : انا جلدي لا يحكّني. لتحلَّ اللعنة على الحبّ وعلى الحسان اللواتي يُغرِيننا ثم يتدلّعْنَ علينا.

المشهد الرابع

اسكاني، وفروسين

أسكاني : هل ما سمعته حقيقي، يا فروسين، وانا لست في حلم ؟ أرجوكِ أن تسردي لي جميع تفاصيل مولدي بحذافيرها.

فروسين : سأبلغكِ اياها بكاملها. فصبراً عليّ، لأن هذا النوع من الأحداث ليس عاديّاً ولا يجري كل يوم. يكفي أن تعلمي انك بعد كتابة الوصية التي تطلبتْ إنجاب غلام، جئتِ انت على أثر حبل زوجة ألْبير والدتك، وكان والدك يريد ان يتبنّى طفل إنْياس بائعة الزهور التي كان يعاشرها. فسلّمتك أمكِ لوالدتي كي ترضعك. ولمّا خطفتْ يد الموت الطفل البريء وهو في شهره العاشر فقط عمدت والدتك الى الحيلة تحسّباً لغضب زوجها، وبداعي عطف الأمومة. واتفقت النساء الثلاث، امك وامي وإنْياس، سرّاً على اعتبارك صبيّاً بدل الذي تبناه والدك لأنه من عشيقته المذكورة، فانطلتْ عليه هذه التورية لا سيما انك فعلاً من لحمه ودمه، وهو لا يعلم بان الله رزقه طفلة. هذا هو سرّ إخفاء انوثتك عن ابيك الذي قيل له انك طفل. وهذه كلها تدابير أمك التي

كان همها الأول صيانة مصلحتها اكثر من مصلحتك، باستنباط اعذار وحجج خدّاعة للاحتفاظ بالارث. أخيراً جاءت هذه الزيارة التي كان أملي فيها ضئيلاً، لكنها خدمت حبّك اكثر مما كنتُ أتصوّر. وببروز سرّك الجديد على أثر زواجك المكتوم أيضاً وتعقيد الامور، إضطررنا أنا ووالدتك الى إعلام ابيك بحقيقتك التي اكّدناها برسالة من أُمّك زوجته، وقد أوضحنا كل الملابسات بطريقة لا تزعج والدك ألبير وتراعي أيضاً مصلحة بوليدور والد زوجك الذي كشفنا له هو أيضاً سرّك المزدوج لكي لا نزيد القضية غموضاً. أخيراً كي لا يبقى أي تفصيل خافياً، حملنا الاثنين معاً على تقدير موقفك، والنظر بعين العطف والرضى الى اقترانك بفالير مصدر سعادتكما وهنائكما معاً.

أسكاني : ما اعظم الفرح الذي غمرتِ به قلبي، يا فروسين. وما أجزل الشكر الذي لا يسعني التعبير عنه من شدة سروري.

فروسين : المهم أن تعود البسمة الى محيا والدك وأن ينشرح صدره، وقد أوصانا بأن لا نوجّه الى ابنته العزيزة، أنتِ بالطبع، إلّا كل كلام لائق ودود.

المشهد الخامس

اسكاني، وفروسين، وبوليدور

بوليدور : إقتربي مني، يا ابنتي، فأنا اسمح لنفسي بأن أدعوك هكذا، وقد إطّلعت على سرّ تخفّيك بملابس الرجال. لقد قمتِ بدور باسل أبرز ما فيك من رقّةٍ ومقدرة. وأنا أعذرك وأعتبر إبني اسعد مخلوق على وجه الأرض، لأنه حظي بكنز حبّك. أؤكّد لكِ أنكِ تساوين الدنيا وما فيها. ها هوذا قد أقبل. فلنفرح بمناسبة هذه المغامرة البهيجة. عليك الآن ان تُخبري جميع ذويك بزواجك الميمون.

أسكاني : تلبية طلبك هو جلّ مبتغاي.

المشهد السادس

مسكاريل، وبوليدور، وفالير

مسْكاريل : الخذلان ايضاً يتمّ غالباً بوحي من السماء. وأنا حلمت هذه الليلة ببيض مكسّر. وفحوى هذا الحلم يقلقني، يا سيدي.

فالير : يا له من جبان.

بوليدور : هو ينوي القتال، يا فالير. وأثناءه نحتاج الى كل مهارتك وشجاعتك لتساعدنا على مواجهة خصمنا القوي العنيد.

مسْكاريل : تبّاً لكل من يريد الشقاق، يا سيدي، ويحرّض الفرقاء على التذابح. انا من جهتي لا مانع لدي للاشتراك. لكن على الأقلّ، إذا جرى أي حادث مؤسف لإبنك، لا سمح الله، لا تتهمْني بأني السبب.

بوليدور : لا، لا. أنا أحرّضه على عمل ما يجب في هذا المكان بالذات.

مسْكاريل : يا لك من أب صارم.

فالير : شعورك، يا أبي، يدلّ على طيبة قلبك، وأنا أجلّك عليه. لا بدّ لي من أن أكون قد أغظتك كأني ولد عقوق، إذْ لم أطلب رضاك وبركتك الابوية. ولكن مهما خيّبت املك فطبيعتي البنوية بصفتي ولدك، تظل هي الأقوى. وابتهاجك هو أفضل تعويض لي، عندما يأبى سرور اراسْت أن يسري إليّ.

بوليدور : لقد خشيت أحياناً بطشه. لكن الامور منذ ذلك الحين تبدّلت. وبدون ان أقصد الهرب منه كعدوّ رهيب، أراك انت قد خِفْت عليّ.

مسْكاريل : أليس من سبيل الى ايجاد حلّ وسط لتفادي المعركة.

فالير : أنا لن أهرب منه. فالله يحميني من أذاه. ثم من يكون هذا الجبان حتى أحسب له أي حساب ؟

بوليدور : أسكاني.

فالير : أسكاني ؟

بوليدور : لن تلبث ان تشاهده.

فالير : وهو الذي أبدى لي رغبته في تقديم أية خدمة أحتاج اليها.

بوليدور : أجل هو يدّعي أنه مصمّم على مواجهتك، ويدعوك الى ميدان المعركة لكي تفضّا خلافكما في منازلة تُثبت من هو الأقوى بينكما.
مسْكاريل : يا له من شابّ طيب القلب مقتنع بأن كرم الاخلاق لا يزرع الشقاق بين الأصدقاء.
بوليدور : أخيراً، هو لا يميل الى اتخاذ المواقف المشبوهة البعيدة عن الشهامة. حتى أني أنا وألْبير إتفقنا على أن تلبي أنتَ طلب أسكاني وتعوّض له عمّا لحق به من غبن. ولكن بعلم الجميع وبدون تلكّؤ في المعاملات اللازمة بمثل هذا الحال.
فالير : اما لوسيل، يا ابي، فبقساوة قلب ...
بوليدور : لوسيل رضيت الإقتران بأراسْت، وهي مستاءة منك. ولكي تبرّئ ساحتها مما نسبته أنت اليها من حديث أزعجها، تصرّ على أن يتمّ هذا الزفاف بحضورك لجلاء موقفك الغامض حيالها وحيال شقيقها أسكاني.
فالير : آهٍ، منها. هذا استهتار يستفزّ اشمئزازي. فهل طاش صوابها وفقدت ضميرها ومروءتها ؟

المشهد السابع

مسكاريل، ولوسيل، وأراسْت، وبوليدور وألبير، وفالير

ألبير : لما هذا الانتظار، ايها المقاتلون ؟ ألم يجئ دورنا لخوض المعركة ؟ وهل استجمعتم شجاعتكم وبتّم على أتمّ الاستعداد ؟
فالير : نعم، نعم. انا جاهز، بما أن الظروف تضطرني الى التأهب. واذا وجدت سبيلاً الى موازنة القوى، فإن بقايا احترامي تدفعني الى الإعتدال، لا قوّة ساعد من ينوي ان ينازلني. لكن ذلك قد زاد عن الحدّ المحمول، وهذا الوقار قد خفّت هيبته، فدفع عزيمتي الى التطرّف، ما دامت الظروف تتكشّف

لي عن لؤمٍ غريب، لا بدّ لمشاعري من ان تبادره بأفظع انتقام. لا لأن حبّي لا يزال يقدس مودّتك، بل لان التورّط يثير غضبي. وحين أفضح عاركِ لن يتسنّى لزواجك الأثيم ان يهيّج حفيظتي. هيا اذاً، يا لوسيل، الى المجابهة لأن أسلوبك في التعامل فظيع، تكاد عيناي تصدّق انك لجأت اليه بمثل هذا الانحياز. لا شك انك تخطّيت كل حدود اللياقة. لذا لا بدّ من أن يكون موتك عقاب جريرتك.

لوسيل : هذا حديث كان ضايقني لولا اليد التي تبرّعت بالانتقام لي. ها هوذا أسكاني قد أتى، وهو يعرف كيف يحملك بأهون السبل على تغيير لهجتك.

المشهد الثامن

مسكاريل، ولوسيل، وأراست، وألْبير، وفالير. كرو رينيه، مارينات، أسكاني، فروسين، بوليدور

فالير : لن يتمكّن من ذلك، وإن ساعده اكبر عدد من المسلّحين. وانا أرثي لحاله في دفاعه عن أختٍ جانية. ولكن بما أنه يطلب مني بدون حقّ ان أشترك في القتال، سألبّي طلبه وستساهم أنت ايضاً معي في المعركة.

أراسْت : خطر ببالي حلّ المشكلة بالحسنى. غير أني، عندما أخذ أسكاني المسؤولية على عاتقه أخيراً، سحبت يدي منها وتركت له تدبير الأمر وحده.

فالير : حسناً فعلت. فالتروّي دوماً أسلم عاقبةً من التسرّع. ولكن ...

أراسْت : سيعرف كيف يحمل الجميع على التعقّل.

بوليدور : لا تخطئ. أنت تجهل أي فتى غريب الأطوار هو أسكاني.

ألبير : نعم هو يجهل خطورة الوضع. لكنه لن يلبث أن يطّلع على حقيقة الواقع قريباً.

فالير : الأجدر به أن يعلم الآن بذلك.

مارينات : أمام الجميع.

كرو رينيه : إلّا أن هذا الاسلوب غير لائق.

فالير : هل تسخرون مني ؟ سأحطّم رأس كل الهازئين. وسنرى النتيجة الباهرة عاجلاً.

أسكاني : لا، لا. انا لست رديئاً كما يُشاع عني. وفي هذه المغامرة التي يُرغّبني فيها الجميع، سترون كيف سيتبدّل الحال. الله يعلم اني قادر على الوقوف في وجه كثيرين، وأن مصير شقيق لوسيل سيؤول الى انتصارٍ سهل المنال. نعم، أنا لا اتبجّح بقوة زندي، غير أني سأريكم بأمّ العين كيف سأتحدّى الموت. وسأواجه المنيّة راضياً اذا كان لا بدّ من حلول أجلي في هذه الآونة. فتُصبح حالاً زوجتك أمام الجميع تلك الصبيّة التي لن تكون إلّا من نصيبك.

فالير : كلا. بعد ان يكون كل الناس قد أنكروها، وجميع بوادر إستهتارها ظهرت للعيان.

أسكاني : فكّر، يا فالير، بأن القلب الذي عاهدك على الوفاء، لا يسعه ان يخونك وينقلب عليك، نظراً الى شدة تعلقه بشخصك الحبيب، كما يشهد على ذلك والدك بالذات.

بوليدور : أجل يا بني. كفاك هزءاً بتحمّسها. آن لك ان تتراجع عما بدر منك من خطأ. فإن فؤادك ارتبط بها بوثاق رسمي مبارك، رغم ما يخفي أنوثتها من ملابس الرجال. وهي وفيّة لحبّك منذ حداثتها. تبّاً للسبب الذي اضطرها الى تنكرها هذا وقد خدع الكثيرين. لكن هيامها بك .قرّبها اليك منذ أمد بعيد. وها أنت أخيراً لبّيت نداء قلبك وارتبطت بها سرّاً. فكفّا معاً عن المغالطة المضنية، وانصت الى حديثي الجدّي. أجل، بالاختصار، هي التي أصغت الى اعتراف غرامك ليلاً، وقد ظننتها لوسيل. وهذا الإرتباط المكتوم خلق فيما بينكما هذا الارتباط المرهق. وبما أن اسم دوروتي بشخص أسكاني طبعاً، حلّ الآن محلّ لوسيل، عليك أن تنتزع من صدرك كل قلق واضطراب. وبصفاء نيّة ان تعلن ما جمع بينكما من وثاق مقدس بالزفاف السعيد الذي يفرحنا كلنا.

ألبير : هذا هو في الواقع سبب الحذر الغريب الذي تذرّعت به في موقفك

الغامض، وقد آن له ان ينجلي لترتاح من خوفك المتواصل وتأهبك المستمر للدفاع عن نفسك.

بوليدور : طبعاً، هذا الحدث سبّب لك الارتباك. وعبثاً حاولت ان تتحاشى عواقبه في محيطك.

فالير : لا، لا. لم أعدّ أهتمّ بالدفاع عن موقفي. واذا كانت هذه المغامرة من عناصر المفاجأة، فهي ايضاً تبهجني وتغمر حبي بالسرور والرضى، بشرط أن تكون زوجتي هي ايضاً قريرة العين مثلي.

ألبير : تنكُّرها بهذا الملبس، يا عزيزي فالير، جعلها تتحمّل بصعوبةٍ ما وجّهتَه اليها من كلام قارس. فهيّا بنا ندعوها الى استبدال ثياب الرجال، بما يليق بها الآن من زينة تبرز أنوثتها وجمالها. وأنت تعلم كم قاست من هذا التخفّي الاضطراري المرير.

فالير : ارجوك، يا لوسيل، ان تسامحيني على كل ما سبّبته لكِ عن غير قصد، من ضيق و ...

لوسيل : سأنسى تهجّمك هذا بسهولة.

ألبير : هيّا. لا بدّ لهذه النهاية البهيجة من أن تبعث في صدرك الانشراح، ما دمتِ فيما بيننا، ونحن جميعاً على أتمّ الاستعداد لكي نزيد فرحك باستمرار.

أراسْت : اراكم لا تفكّرون حين تتكلّمون هكذا بأن أسباب الخصام لا تزال قائمة. فقد تسنّى لكما ان تتوّجا حبكما بأكليل السعادة والهناء. لكن صديقنا مسكاريل العاشق المسكين وصديقنا كرو رينيه الذي يأمل بالزفاف الى مارينات، لا بد لكل منهما أن يدرك الامنية التي يتوق الى تحقيقها.

مسْكاريل : كلّا ثم كلّا. ما دام دمي يجري في عروقي، فأمر زواجي لا يهمني كثيراً. لاني أعرف جيداً مزاج مارينات التي تهفو الى تعجيل يوم قرانها بكرو رينيه.

مارينات : وهل تظنّ أني أرضى بك كفارس أحلامي ؟ ربما كزوج حسب العرف المتّبع، ليس لي من اعتراض عليك. لكن هناك أيضاً ميل قلبي الذي لا بد لك من ان تسترضيه.

كرو رينيه : اسمعي، يا عزيزتي، عندما يجمعنا وثاق الزواج، يتحتّم عليكِ أن تصمّي أذنيك عن كل النداءات الأخرى المغرية.

مسْكاريل : وهل تعتقد انك ستتزوج وتستبدّ، يا صديقي.

كرو رينيه : طبعاً لا. أنا بحاجة الى امرأة حازمة، وإلّا أقلقتُ راحة الجميع لصيانة حقوقي.

مسْكاريل : يا إلهي. لا بدّ لك من ان تتصرّف كغيرك برصانة وتُلطّف سلوكك. فالعشّاق قبل القران يظلّون متضايقين ومتلهّفين، وفي الغالب يصبحون بعده أزواجاً هادئين مسرورين.

مارينات : هيا إذاً الى العمل، أيها الحبيب الظريف اللطيف ولا تخفْ من ان أبدّل رأيي فيك. فالنعومة تزيدني رغبةً في قربك مني، ولن أبخل عليك بعواطفي.

مسْكاريل : ما أسعدني من حبيب متساهل مستعدّ لتقبّل كل التصريحات.

ألبير : للمرة الثالثة أقول لكم هيّا بنا نذهب الى بيتنا لنواصل بكل حرّية أحاديثنا المسلية المستعذبة.

(تمّت)